الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

المسكوت عنه في رواية الزاوية المنسية لياسمين بن تومي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد:
* ديب الصغير
* لبيد نزيم

إشراف الأستاذ:
د. ضيف عبد المالك

السنة الجامعية : 2020 - 2021

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

نتقدم بالشكر الجزيل إلى:

- الأستاذ المشرف: د. ضيف عبد المالك
- الطاقم البيداغوجي والإداري لقسم اللغة و الأدب العربي المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
- كل الذين قدموا لنا يد المساعدة
- بوقطوشة علي الذي ساهم في كتابة هذه المذكرة

مقدمة:

يعد المسكوت عنه من المصطلحات التي عرفت إنتشارا واسعا وذاع صيتها عند الغرب والعرب، خاصة في المرحلة الأخيرة وأصبح من أكثر المفاهيم تداولا لاتساع الطرح فيه من حيث الإشكالات التي يقدمها ونظرا لطبيعته كذلك.

كما أنه ومنذ ظهوره اهتمت به العديد من الأبحاث والدراسات وتناولته أقلام الدارسين والنقاد والباحثين، حيث شكلت مواضيع المسكوت عنه (الدين، السياسة، الجنس) لبنة أساسية في الخطاب المعاصر كونها تخوض في المحرم و التابو، فسلكت الرواية العربية مسارا مغايرا لما كانت عليه من قبل.

فبعد أنْ كانت مرتبطة بالجانب التاريخي والأحاديث عن القومية، أصبحت تميل أكثر فأكثر لنقد القيم السياسية والأخلاقية وحتى الدينية، ونتيجة لذلك ظهر روائيون اهتموا بالخوض في المسكوت عنه من خلال طرح انشغالات العرب وتطلعاتهم، فكان الإنتاج الروائي وفيرا نسبيا وعدَت بهذا إرهاصا لنزوع الرواية المعاصرة، ويعتبر الأدب الجزائري شعرا كان أو نثرا صورة تعكس مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية و الاقتصادية التي عاشتها الجزائر خلال فترة التسعينات من القرن العشرين، وهذا ما تجلى في العديد من الأعمال الأدبية، فكانت الرواية وسيلة للتعريف بالواقع المرير الذي تشهده البلاد، فراحت الكتابة ترصد من خلالها القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والجنسية، تعبر في فضاء البوح الصريح عن انتفاضات الفكر واختلاجات الجسد عبر قالب لغوي كاسرا لحدود الخجل والخوف.

ومن أبرز الروايات التي تجاوزت كل التابوهات والحواجز وهو ما يسمى بالثالوث المحرم (الجنس، الدين، السياسة) رواية الزاوية المنسية لليامين بن تومي، وهذا ما حفزنا لدراسة الرواية السالفة الذكر كونها تحمل في ثناياها بعض القضايا المسكوت عنها.

حيث نهدف من خلال دراستنا هذه إلى إبراز أهم المواضيع المسكوت عنها التي تناولتها الرواية الجزائرية المعاصرة ممثلة في رواية الأزمة، و في هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا هذا الموسوم بالمسكوت عنه في رواية الزاوية المنسية لليامين بن تومي.

وللوقوف على دراسة وكشف ما ذكرناه أنفا نطرح العديد من الإشكاليات من أجل فك الغموض عن البحث وتوضيح الرؤية:

- ما المسكوت عنه؟

- ما المواضيع المسكوت عنها التي خاض فيها الروائي اليامين بن تومي في رواية الزاوية المنسية؟

- كيف تم توظيف تيمات المسكوت عنه في الرواية؟

مما لاشك فيه أن هناك العديد من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع دون سواه ولعل أبرزها:

- الرغبة في تبسيط مفهوم المسكوت عنه والتفصيل في تيماته والتي أصبحت قبلة وملاذا للأدباء بعدما كانت لغزا يصعب الخوض فيه.

و لقد تمت دراسة هذا الموضوع من قبل العديد من الكتاب والباحثين وعلى رأسهم : عبد الوهاب بوشليحة ضمن أطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشكالية الدين، السياسة الجنس في الرواية المغاربية 1990/1970 ، سوسن أبرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق.

وللإجابة على هذه الإشكالات رسمنا خطة مكونة من فصلين، تناولنا في الفصل الأول تحديد وضبط المصطلحات، حيث قمنا بشرح بعض المصطلحات كالمسكوت عنه و التابو والثالوث المحرم والمحظور والتأصيل لهذه المصطلحات في الأدبين الغربي والعربي، كما تناولنا بعض النماذج الروائية الجزائرية التي تضمنت المسكوت عنه.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان" المسكوت عنه في رواية الزاوية المنسية" وتطرقنا فيه إلى أهم المحظورات و التابوهات المسكوت عنها في الرواية السالفة الذكر وخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الموضوعاتي القائم على الوصف والتحليل، إذْ قمنا برصد التحولات التي طرأت على الرواية الجزائرية المعاصرة و وقفنا على ما تضمنته رواية الزاوية المنسية من مشاهد تصف للمتلقي أحداث العشرية السوداء.

رغم كل ما تعرضنا له من صعوبات ومشاق كما في أية بحث منها قلة المراجع وعدم توفرها ، إلاَ أنَ هذا لم يقف أمام رغبتنا الجامحة لإخراج هذا البحث المتواضع بهذا الشكل وبهذه الصورة التي نأمل من خلالها يحظى بالقبول بحول الله وتوفيقه.

وفي الأخير نشكر الأستاذ المشرف الذي مدَ لنا يد العون وكان سندا لنا في هذه الدراسة.

الفصل الأول:

مقاربة منهجية لمكونات

العنوان

تمهيد:

- سنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على بعض المصطلحات قصد وضع القارئ في الصورة، فحتى يمكننا فهم موضوع الرسالة، لابد من فهم منطلقاتها، ويعد العنوان علامة دالة وعتبة يتم من خلالها ولوج عالم الموضوع، لذلك ارتأينا فك رموز العنوان باحثين في كل مكون من مكوناته على حدى، موزعين في ذلك بين المفاهيم اللغوية والاصطلاحية، حتى يمكننا إلقاء نظرة عامة عن الموضوع فتتضح لنا الطريق لقراءة باقي مكوناته، موضحين المسكوت عنه باعتباره المحور الرئيسي للموضوع والمحاور ذات الصلة به، و بعدها سنحاول معالجة المصطلح في الأدب الغربي و العربي، لنخلص في نهاية الأمر إلى التطرق لنماذج روائية جزائرية معاصرة، تناولت المسكوت عنه وخاضت فيه بعد تسليط الضوء والتعرض للمفاهيم التي تخص الرواية الجزائرية المعاصرة .

*تحديد وضبط المصطلحات .

أولا - ماهية المسكوت عنه في الأدبين الغربي والعربي.

1- المسكوت عنه.

لغة:ورد في لسان العرب بأن لفظة المسكوت عنه مشتقة من الجدر اللغوي«سكت أن قال ذلك أي ما تمالك والتمسك استمساكك بالشيء وأمسكت عن الكلام أي سكت »[1].

اصطلاحا: المسكوت عنه هو جملة المحظورات الأخلاقية والسياسية التي يأتيها الأدباء في كتاباتهم أي "الثالوث المحرم "الدين، السياسة، الجنس[2].

وفي أصول الفقه«معناه الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عداه »[3].

إذن فالمسكوت عنه نقيض النطق وهو ما أن يكون موافقا للمنطوق أو مخالفا به وقد عهد المعاصرون من أهل الأدب إلى حصر تسميات المسكوت عنه في ثلاثة مواضع (الدين، السياسة، الجنس) وهي الكلمات التي يمكن اختصارها في عبارة [ج س د أو جسد] التي تناولها الروائيون بأساليب تفاوتت بين المباشرة والإيحاء والتلميح والتصريح، إذ لا يمكن أن تتساوى نسب استعمال هذه التسميات الثلاث في الخطاب الذي عادة ما يميل إلى تكثيف أحدها على البقية، ولذلك مصوغات أسلوبية و متصورات فنية ومقصديات موضوعية و ذاتية ثحايت الخطاب السردي[4].

ومن أجل فك الغموض عن مصطلح المسكوت عنه لابد من التعريج على المصطلحات المضاهية له.

2- الثالوث المحرم:

لغة: الثالوث مكون من ثلاثة ومنه الثالوث الأقدس رمز للأقاليم الثلاثة [5].

المحرم من جمع محارم، محاريم، محرمات، وكما ورد في معجم الوسيط هو الامتناع أي حرم فلان الشيء حرمانا أي منعه إياه.

1-ابن منظور، لسان العرب، ط 1، دار صادرللطباعة والنشر، بيروت1863 م، ص 75.
2- بحري محمد الأمين، سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية، الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي جامعة بسكرة ، ص 1 .
3- أبو حامد الغزالي، المستصفى، ت محمد عبد السلام الشافي، ط 1، دار الكتب العلمية، 1993، ص 20.
4- محمد الأمين بحري، مداخلة بعنوان تيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة بين التواصل والقطيعة جامعة بسكرة،2019 ، ص 1 .
5- إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط ، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر تركيا، ص 98 .

فالمفهوم اللغوي للثالوث المحرم يتمثل في قضايا ثلاثة، تشترك في كونها تلامس المحظور سواء كان اجتماعيا أو أخلاقيا، مما يتعين تحريمها وعدم تناولها في الأعمال الفكرية والأدبية.

اصطلاحا: يسميه بعضهم خطوطا حمراء ثلاثة، ابتعد الأدباء عنها حقبة ثم توجهوا بالحوم حولها، سعيا لكسرها وتجاوزها ضمن تغيرات عديدة في الأدب، كفلها الزمن والأوضاع المتعاقبة [1].

هذه الخطوط المحظورة كانت حاجزا لا يمكن تجاوزه أما الأن فأصبح الأدباء قادرين على كسر هذا الحاجز وخرقه من خلال الكتابة في تلك المحظورات .

3- التابو: مصطلح يفيد تحريم فعل شيء ما أو قوله خوفا من عواقب تلحقها به القوى الفوقية وبمعناه يشير إلى اللامساس، وأستعمل في بعض الكتب تابوات مرادفا للتحريمات [2] من خلال هذا التعريف يتضح بأن مصطلح التابو يدل على كل ما هو محرم ومحظور ومقدس لا يمكن المساس به، سواء كان دينيا، جنسيا أو سياسيا .

فهذا المصطلح حديث النشأة يعود ظهوره إلى القرن السابع عشرة للميلاد بأوربا، تمخض عن تواطؤ السلطة الكنسية والسياسية على حد سواء، ففي القرن الثامن عشر صدر قانون ينظم مهنة الكتاب نص على منع الكتب التي تمس ثالوث النظام (الدين، الدولة، الملك)[3]

4- المحظور:

لغة: وردفي لسان العرب لأبن منظور في مادة ح.ظ.ر" الحظر" المنع، ومنه قوله تعالى «و ماكان عطاء ربك محظورا (20) الإسراء»[4].

أي أن عطاء الله لم يكن ممنوعا، فالمصطلحان (محظور و ممنوع) مختلفان لفظا مترادفان معنى، والشائع أن مصطلح المحظور اقتصر على المعاملات الدينية والقانونية « وكثيرا ما يرد في القرآن الكريم ذكر المحظور ويراد به الحرام»[5].

1- م م عزيز لطفي ناهي، التابوهات المحرمة في الرواية السعودية، مجلة جامعة ديكار، المجلد 13، 2008، كلية التربية، جامعة القادسية، ص 177.

2- هادي العلوي، قاموس الدولة والإقتصاد، سلسلة 2، دار الكنوز الأدبية بيروت، طبعة 1، 1998، ص 166.

3- نزيهة زاهر، معمارية البناء السردي بين ألف ليلة وليلة والبحث عن الزمن الضائع، مخطوط أطروحة دكتوراه جامعة بسكرة 2007 ، ص 12 .

4- ابن منظور، محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، تح، أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبيدي دار احياء الثراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط 3 1999م، ج 5، ص 229.

5- المرجع نفسه، ص 229.

وحتى أولائك الذين لجؤوا إلى التعريف بإيراد النقيض، لم يخرجوا عن نطاق الدين « الحظر:الحجر، وهو خلاف الإباحة»[1].

حيث أن كلمة الإباحة يكثر استعمالها في المحيط الديني، والحجر هو المنع و التحريم من قَوْلهم الحَجْرُ والحجْرُ والحُجْرُ والمَحْجرُ، كل ذلك: يعني الحرام حيث جاء في التنزيل «ويقولون حَجرا مَحْجُوْرا »22 الفرقان أي حراما محرما [2].

اصطلاحا: تم التعامل دائما مع مصطلح المحظور من وجهة نظر دينية، والمحظور ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله وهو خلاف المباح [3].

ولأن أصل المصطلح من لغة القرآن الكريم فقد ظل لزمن مرتبطا بالدين لغة ودلالة، ثم تم سحبه إلى مجالات أخرى كالسياسة، الجنس، العرف، المجتمع، التاريخ وغيرها، ولابد في المحظور من وجود الجهة المسؤولة عن الحظر فيكون «الشيء إذا نهى عنه ناه»[4].

وهذه من جهة المولى عز وجل، وبالتالي كل محظوراته يجب الالتزام بها، وقد يكون السلطان أو الرئيس أو من يمثله الجهة المسؤولة عن الحظر، وقد تكون عن المجتمع وما توارثه من عادات وتقاليد و أعراف، ويذهب البعض إلى التفريق بين المحظور والحرام فكل حرام محظور وليس كل محظور حرام، والمحظور يكون قبيحا إذا دلت الدلالة على أن من حظره لا يحظر إلا القبيح في الشريعة، وهو ما أعلم المكلف أو دل على قبحه، ولهذا لا يقال أن أفعال البهائم محظورة وإن وصفت بالقبح، مما يعني أن مصطلح الحرام أوسع وأشمل من مصطلح المحظور، ومع ذلك يضل المحظور مشوبا بالقبح، محمولا إلى الرفض مهما كانت الجهة المسؤولة عن ذلك ومهما اختلفت درجة الحظر أو مجاله.

1- العلي الصالح، والشيخ سليمان الأحمد أمينة، المعجم الصافي في اللغة العربية، بيروت لبنان، ط 3 ،1999 م ج 5 ص 2291.
2- ابن منظور، المرجع السابق، ص 229 .
3- المجددي البركتي، محمد عميم الاحسان، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2003، ص 80
4- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران، الفروق اللغوية، ت ح، إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ص 229 .

5- المسكوت عنه عند الفلاسفة الغربيين.

5-1 السياسة عند أفلاطون-platon.

يخوض كثير من الفلاسفة في السياسة، من خلال ضبط المفاهيم التي تحيط بها نهج أفلاطون الذي فسر العدالة في كتابه الجمهورية وقال بأنها:

- العدالة هي مصلحة القوى.
- العدالة تكون وسطا بين أحسن الأشياء وأسوئها.
- العدالة أن تقول الحق و أن تدفع ديونك.
- العدالة هي عمل الخير للأصدقاء وإلحاق الضرر بالأعداء.[1]

فالعدالة فطرة صالحة وعلاقة متوازنة بين ملكات النفس، وفضيلة سياسية تؤدي إلى الإتحاد والتكافل و الاتساق في العمل بين الأفراد والجماعات، وبالتالي هي إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدالة لا تتمثل في اقتصار الإنسان على ما يخصه والتمتع به، بل أن يلوذ كل المواطنين بما تميل إليه فطرتهم أي القانون.

كما أن الدولة والفرد العادل لايختلفان لأن الفرد هو نموذج مصغر عن الدولة، والدولة هي الفرد الإنساني مكبرا.

يرى أفلاطون أن «العدالة قائمة على الطبيعة وليست على العرف».[2]

فالعرف مرفوض وغير مقبول من طرف أفلاطون، لأنه قد يتحول إلى معايير ومبادئ متفق عليها إلى قانون صارم، ومن هنا طرح فكرة الشيوعية «حيث يقترح الشيوعية تتناول كل شيء في طبعة أولياء الأمر، وكذلك طبقة الجنود».[3]

1- عصام زكرياء جميل، مصادر فلسفية، ط1، دار الميسر للنشر والتوزيع، ص 26 .

2- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1936م، ص 124 .

3- عصام زكرياء جميل، المرجع السابق، ص 30.

2-5 الدين عند سبينوزا spinosa .

استطاع العديد من المفكرين أن يخلصوا الفلسفة من هيمنة السلطة الدينية، ونادوا بتحرر الإنسان بدعوى أن الدين يكرس في أوساط العامة ذهنية الخضوع ليس بالأوامر الإلهية فحسب، بل لمن أدعى أنه يمتلك علما بالدين، ومن فرض نفسه حارسا على رأس المال الرمزي.

أكد سبينوزا أن الدين يستخدم كذريعة لخدمة الأغراض الخاصة، فالدين عنده ليس فلسفة ولا علما يحمل تفسيرا للكون، بل هو مجرد أخلاق تقوم على مبدأ واحد، هو وجود كائن واحد سام يحب العدالة والإحسان ويلزم الكل بطاعته وممارسة العادلة والإحسان اتجاه الغريب.[1]

يسعى سبينوزا إلى خلق مجتمع ديمقراطي قائم على الود والسلم، وفسر الدين على أنه أخلاق، وجعل منه عاملا لبناء المجتمع .

3-5 السياسة عند هيغل HEGEL.

يرى هيغل أن الشعب الذي يمتلك الحرية بإمكانه أن يخوض في المواضيع المحرمة والمسكوت عنها، لأن عظمة العصر لا تتم إلا من خلال الاعتراف بالحرية و الاستقلالية، حيث يصفهما بخاصية الروح أي الفردية وحق إبداء الرأي وقد انصب اهتمام هيغل على الإنسان الحر و رأى أنه ذات للنظام السياسي،« فالرفض هو مايميز الإنسان عن سائر الكائنات، وما يشكل سماته الرئيسية فالإنسان يرفض واقعه المادي ويرفض خصوصيته في سعيه إلى الكلية ويرفض محدوديته، هنا تكمن حرية الفرد».[2]

1- مصطفى الشادلي، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، الحوار المتدين، العدد3797، 2012 .

2- فارس سيسين، هيغل WWW.SASSINEBLOGSPOT.COM

4-5 الدين عند فريديريك نيتشة F– NIETZSCHE .

يبدأ هجوم نيتشة على الدين من خلال البحث والمقارنة في وجود الله وتباينها من دين إلى أخر، وأنتهى إلى فجوة بين هذه التصورات التي تأكد حسبه عدم وجود الله، وأنه هنا طرح فكرة السوبرمان، فالإنسان الخارق لايمت بصلة إلى الإنسان الطيب، لأن الأخلاق لا تعني السلطة بل تكمن في القوة. دعى نيتشة في كتابه هكذا تكلم زرادتشت إلى خلق الإنسان المتفوق وهدم قيود الدين، يقول الحكيم الإيراني:«إنه لأمر مستغرب ألم يسمع هذا الشيخ أن الله قد مات ».[1]

بعد نزوله من محرابه لدعوة الناس إلى الإنسان الأعلى، وهي رؤية مستقبلية للإنسان المنحدر من الإنسان الحالي، وهو إنسان قوي التفكير والمبدأ والجسم والأهم من ذلك إنسان شجاع فالسوبرمان هو سمو البشر نحو المثالية والكمال المطلق .

6-المسكوت عنه عند الأدباء الغربيين.

1-6 الدين.

إن الكوميديا الإلهية "لدانتي "واحدة من الأعمال الرئيسية لعملية الانتقال من العصور الوسطى، وتعد حوارا فكريا بفضل الزهد في الدنيا والتبتل للأخرة، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين، وفلاسفة في القانون فحاربوا المفكرين وحاكموهم بقسوة، واحتكروا زعامة المجتمع، مما أدى إلى تفشي الخرافات وسيادة الجهل.

الكوميديا تدور حول نقد رجال الكنيسة، والتنديد بالطريقة التي يمارسونها في تغيير اتجاهات البشر حسب أهوائهم واستغلالا لسلطتهم، فلم يكن هناك مجال للفرد كي يبدع ويبتكر، بل كانت التقاليد والأعراف السائدة تحطم كل رغبة تهدف إلى تحكيم العقل و إتباع المناقشة سبيلا للوصول إلى الحقيقة.

1- فريديريك نيتشة، هكذا تكلم زرادشت، ت.فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة الاسكندرية 1938، ص 7.

تبدأ الرحلة بمرحلة الجحيم أفاق دانتي في منتصف طريق حياته فوجد نفسه في غابة مظلمة ضالا سواء السبيل، حيث قضى ليلة في عذاب شديد مع ذلك اعتزم أن يقص مالقيه فيها من خير وشر .[1]

فقد جعل دانتي الجحيم من نصيب رجال الدين وهم أصحاب الغش والخداع«حيث يصف فيه الشاعر نمادج من البشر الخاطئين، ومثل مرحلة وسيطة بين عالم الكون والفساد ».[2]

فرجال الدين وفي زمن حكمهم اعتبروا الأوبئة والطاعون إرادة إلهية لا يمكن مواجهتها فمن يحاول التصدي لهده الظواهر يلقى حتفه وهذا هو الحال مع " بولستون" حيث اكتشف دواء التطعيم ضد هده الأوبئة، حيث ألقيت قنبلة بمنزله وأعدم العديد من المكتشفين لكي تبقى الحقيقة من نصيب رجال الدين والكنيسة.

"فدانتي" قد اخترق المسكوت عنه وفضح نوايا رجال الكنيسة وخدمة أغراضهم، كما تناول البيركامو مواضيع المسكوت عنه وخاض فيها، حيث يحمل "كامو" الله مسؤولية الغياب وعمل على فضح رجال الدين، حيث يرجعون الأمور كلها إلى عدم المصالحة مع الله أو الغضب الإلهي،« رجال الدين لا أصدقاء لهم بل وضعوا كل شئ في الله ».[3]

يفسر رجـــال الدين الظواهر على أنها غضب من الرب، فكثيرا ما يلجأ للسحـــر والشعودة من أجل التصدي لها والتصالح مع الله.

1- الجيري دانتي، كوميديا الالهية، ت حسن عثمان، ط 3 ، دار المعارف، القاهرة، ص 74.
2- ملاح فضل، الادب المقارن،ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2003 م، ص 107.
3- البير كامو، الطاعون، ت سهيل ادريس، ط 1، دار الاداب، بيروت،1981 م، ص 269.

2-6 السياسة.

يعود الفضل إلى "فولتير" في إشاعة التنوير والانتقال السياسي والاقتصادي من النظام الأرستقراطي الاقتصادي إلى حكم الطبقة المتوسطة، حيث دافع ونادى بالإصلاح الاجتماعي من خلال كسره وتعديه لقيود الفكر السائد، فرواية كونديد أو التفاؤل والتي تدور أحداثها حول شاب عاش في قصر عمه، الذي أسند تصليبه إلى أحد المعلمين والذي رسخ التفاؤل وحسن النية بداخله، مما عزله عن العالم الخارجي وجعله يتوسم الخير في المجتمع ويثق به، لكن الأحداث تسير بالعكس ويطرد الشاب من القصر، بعد أن أكتشف عمه حبه لابنته، ولكنه ظل يردد بأن كل شئ بخير وعلى ما يرام « كان كونديد يضن نفسه في حلم وينظر إلى حياته و كأنها حلم مشؤوم و إلى اللحظة الحالية و كأنها حلم رائع ».[1]

انتفض فولتير ضد هذا الحكم الملكي من خلال شخصية كونديد، ونادى بضرورة الحكم القائم على أساس الفعل و المنطق، فتأيد فولتير بحق الملكية الفردية إلا أنه لا يقر أن يكون انحرافا ووسيلة الطغيان والحرمان، ولهذا ينادي بإصلاح هذا الحق ومراقبته لكي لايخرج عن مشروعيته.

فرواية كونديد تعري السياسة و تكشف أهدافها الخاصة، حيث أدان العدالة وما تنشره من قيم كاذبة بين الناس.[2]

أما فيكتور هيغو فقد أورد في رواية البؤساء مواقف عديدة منها، السياسية متمثلة في النزعة الإنسانية المكافحة في سبيل العمل، إذ تقوم الرواية على الصراع بين الخير والشر داخل النفس الإنسانية، فبطل الرواية جان فالجان يحاول بقدر الإمكان وبكل يأس رعاية وإطعام أطفال شقيقته، فيعلن القبض عليه من قبل السلطات و يحكم عليه بالسجن، ولا يرى سببا لتبرير فعلته وهي سرقة رغيف الخبز، ويحاول مرات عديدة الهروب لكنه يلقى عليه القبض، مما يمدد محكوميته.

من خلال هذا ربط هيغو بين الصراعات الفلسفية والسياسية والأدبية في عصره «فحديثنا يدور حول شؤون أخـــــرى لا تتصل بالسياسـة، إننا نفكر في أفضل وسيلـة لاستثمار ثـروتك ».[3]

1- فولتير، كانديد، ت أنا ماريا شاقير، ط 1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2005 م، ص 74.
2- المصدر السابق، ص 94.
3- فيكتور هيغو، البؤساء، ت سليم خليل قهوجي، ص 301.

فالبؤساء قصة مستوحاة من عصر الأنوار والثورة الفرنسية الكبرى و الإحاطة بالنظام القديم، من أجل إقامة شرعية جديدة لحقوق الإنسان وخاصة الطبقة الفقيرة، وكشف الحاجز عن ويلات الاضطهاد والحرمان.

3-6 الجنس.

الإنسان تتولد لديه العديد من الغرائز، كالأكل والشرب ...ولا يمكننا إنكار الحاجات الجنسية و أهدافها المساهمة في بناء الأسرة، ومنها الحياة البشرية منذ البدايات الأولى لظهوره.

رواية "مدام بوفاري"لفلوبير، كانت البداية الأولى لتابو الجنس، حيث خاضت فيه من خلال فقدان بطلة الرواية إيما للسعادة الزوجية، إذ بدأت عقدتها النفسية أين خلفت قراءة الروايات الرومانسية لديها خيالا ووهما واسعا، وهو ضرورة العيش في حالة الحب وأن زوجها يفتقد للحرارة الجنسية، فراحت تبحث عن العشاق لعلها تجد فيهم الحب والسعادة وسد الحاجة الجنسية التي فقدتها عند زوجها، ولكن للأسف أن كل من اتخذته عشيقا سرعان ما يهجرها، وأخيرا أقسم ليون أن لا يعود إلى رؤية إيما، ولام نفسه بأنه لم يحترم هذا القسم مقتنعا بما قد تسببه له هذه المرأة من ارتباك و أقاويل.[1]

تثور الرواية على قيم المجتمع وتجريمه وكبته للحريات، فتكسر القيود وتكشف المستور من خلال التفريق بين الأنثى والذكر، مما يؤدي بالفرد على كبت حريته وإخفاء ما بداخله قصد إرضاء المجتمع، فالعفة التي تتظاهر بها إيما ما هي إلا وقت زائل وأنه لابد من مواجهة هذا النفاق وبالتالي كسر قيود المحظور.

1-فولبير، مدام بوفاري، ت محمد غندور، ط 1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان،2009 ، ص 351 .

7- المسكوت عنه في الأدب العربي .

عرفت الأمة العربية بقولها الشعر، لكن مع تنامي الوعي ظهرت الرواية كفن خصب يتمتع بالحرية والبعد عن قيود الزمان والمكان، فمنه كانت الانطلاقة الحتمية لتيمات المسكوت عنه واحدة تلوى الأخرى، فقد خاضت الرواية في غمار السياسة وكشفت عن الأغراض الحقيقية للمتحدثين باسم السلطة والشعب، كما هو الحال نفسه مع تيمة الدين والجنس، إذ خاض الأدباء في تيمة الدين لإزاحة التضليل عن المقدس والمحظور، أما تابوا الجنس فقد كان «لتحقيق الذات مقابل العجز الذي يعيشه في مجتمعه، كما كان محاولة لامتلاك الآخر مقابل الامتلاك الذي مارسه العرب من خلال الاستعمار».[1]

فقد أصبحت الرواية العربية المعاصرة لا تخلو من التعرض للثالوث المحــرم (الدين، السياسة، الجنس) فهي المتنفس الذي يمكننا من التعبير والتصريح بما لا يمكننا البوح به .

1-7 الدين :

يعتبر الدين أهم مؤطر لحياة الشعـوب إذ يفسر كل ما يعجـز العقل عن تفسيره، و في مفهوم آخر للدين يظهر بـأنه «ثابت ساكن في الحقائق الأزلية ينظر إليه ليستلهم مهده ولذلك كان يشكل دائما التبرير الميتافيزيقي للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة ».[2]

إن الخطاب الروائي المعاصر وقد استعان بالدين واقتبس منه للتعبير عن قضايا أكثر جرأة سواء كانت قضايا اجتماعية، فكرية، ثقافية وحتى سياسية فهنا تكمن ميزة استعمال الرمز و الإيحاء والإشارة في مواضيع المحظور أو المسكوت عنه، والذي لم يتطلب التصريح خوفا من قبح العرض وكسر حاجز الأخلاق في المجتمع، مما يعرض الأديب لعقوبات قاسية من طرف السلطة .

فالحلاج على سبيل المثال باعتباره من الصوفية الذين عاشوا عصر التقلبات السياسية والاجتماعية والفكرية، إذ نادى بإمكانية الإتحاد بين الذات الإنسانية و الذات الإلهية .

---

1 - أنور بدر، المحظورات في الكتابة العربية، جريدة القدي العربي،العدد 6705، 2001 ،ص 10 .

2- جرار جهامي وآخرون، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، ج 1 مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2004، ص 1031 .

حيث يرى مانسيون أن الحلاج أحيا في النفوس الرغبة الاجتماعية في إصلاح الجماعة الإسلامية ورئيسها، وينقل عن الأصطخري أن وجهاء القوم رأوا فيه الرئيس الملهم الذي وصل إلى درجة القطب. [1]

لقد خلع الحلاج خرقة الصوفية ليخالط الناس ويقف في وجه الظلم، فأدعى أنه المهدي المنتظر وأنه الرب ورأيه مقدم ومبجل عن رأي الحاكم، فكان إمامهم في الإصلاح السياسي فرسم منهجا سياسيا قسمه إلى :

- الناحية الصوفية .
- صلاح الإدارة الحكومية .
- وحدة الأمة الإسلامية بالعودة إلى الإسلام .[2]

مما شحن النفوس وقامت الثورة إلا أنها لم تدم طويلا وأمسك بالحلاج و عذب أشد عذاب، فكانت تهمته الظاهرة هي الأفكار الدينية المتطرفة .

كما يعد طه حسين من الأدباء الأوائل الذين ناقشوا الدين وشككوا في قضاياه، و هذا واضح جليا في كتابه في الشعر الجاهلي، وإننا نستطيع أن نتصوره تصورا واضحا ولكن بشرط ألا نعتمد على الشعر بل على القرآن من ناحية والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى« وهي أنه لا ينبغي أن نستشهد بهذا الشعر على تفسير القرآن، وتأويل الأحاديث و أنما ينبغي أن يستشهد بالقرآن على تفسير الشعر و تأويله ».[3]

إذ أن احتواء الشعر الجاهلي للرموز والإشارات الإسلامية، يؤدي حتما إلى الشك في وضعه «وهنا تتظاهر العواطف الدينية والعواطف السياسية على انتحال الشعر، فقد أرادت الظروف أن تكون الخلافة والملك في قريش رهط النبي».[4]

1- سامي خرطبيل، أسطورة الحلاج، دار إبن خلدون، بيروت، لبنان ،ط 1، 1979، ص 116، نقلا عن مانسيون المنحى الشخص، ص 117 .

2 - المصدر السابق ، ص 105 .

3 - طه حسين، في الشعر الجاهلي، ط 1، دار الندوة القاهرة، 1926، ص 8 .

4 - علي الوردي، مفتاح كتاب الشعر الجاهلي، ت صباح جمال الدين، ط 1، دار الورق للنشر، ص 149 .

عمد طه حسين تعرية المسكوت عنه ومناقشة القضايا الدينية، كالطعن في نسب الرسول- صل الله عليه وسلم- وملامسته قضايا تثير الشكوك كقصة الكعبة و تأثر القرآن بمصادر أخرى كالكتب السماوية وغيرها .

اعتمد طه حسين مبدأ الشك الديكارتي الذي يقوم على الشك من أجل الوصول إلى اليقين مما أوصله إلى القول بأن القرآن كسائر الكتب الأخرى، يمكن إخضاعه للنقد بغض النظر عن قداسته، وفي هذه الدعوة هجم طه حسين على كل ما ترسخ لذى العقلية العربية من قيود القومية و المقدس«يجب حين نستقبل البحث في الأدب العربي و تاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وننسى ديننا وكل ما يتصل به».[1]

ولقد خاض نجيب محفوظ هو الأخر في المحظور الديني، وذلك من خلال رواية "الشحاذ" التي ترصد تجليات الأزمة الوجودية الروحية، التي تعج بالتساؤلات عن سر هذا الكون و متناقضاته.

إذن فرحلة "عمر الحمزاوي " التي تبدأ عندما يذهب إلى عيادة صديقه الطبيب حامد صبري يشكو إحساسا انتابه، دفعه إلى الضجر من كل شيء، ويشخص الطبيب مرض عمر بأنه مرض بورجوازي.[2]

و يوضح ذلك قائلا «دعني أصف لك حياتك كما أستنبط من الكشف، أنت رجل ناجح ثري نيث المشي أو كادت تأكل الطعام فاخر الطعام، وتشرب الخمور الجيدة وترهق نفسك بالعمل لحد الإرهاق».[3]

فالمال و الجاه والنجاح في العمل تحل ألغاز الوجود بعد افتقار النفس و إحساسها بالخواء، لقد سلك نجيب محفوظ طريق البحث عن سر هذا الكون المليء بالتناقضات والانقلابات، فهناك دائما بحث عن المعنى المفقود وتحقيق الغاية في خلق حياة جديدة، ذلك أن طريق البحث عن سر الوجود لا ينتهي عند أي حد، يقول مصطفى الميناوي لعمر بطل الشحاذ « إني أعرفك مند عهد أدم بحاثا عن المتاعب ».[4]

1- طه حسين،المرجع السابق، ص 8.
2 - نجيب محفوظ ، الشحاذ، دار القلم، بيروث، لبنان، ط 2، 1988، ص 10.
3 - المرجع نفسه، ص 11 .
4 - نجيب محفوظ، اللص و الكلاب،ط 1، دارالقلم، بيروث، لبنان 1973م،ص 58.

تناول"يوسف زيدان" من خلال رواية "عزازيل"مواضيع الفلسفة والدين، حيث قام بفضح رجال الكنيسة وكيفية تعاطيهم للدين و اتخاده كذريعة لخدمة أغراضهم الخاصة.

تدور الرواية "عزازيل"حول ما كتب الراهب"هيبا"بطلب من الشيطان فيسرد لنا ما حدث له منذ خروجه من أخميم في معبد مصر، قاصدا مدينة الإسكندرية لكي يبحر في الطب واللاهوت، لكنه سرعان ما يهرب إلى فلسطين بعد مشاهدته بشاعة مقتل العالمة "هيباتيا"على يد الغوغاء من مسيحي الإسكندرية بتحريض من بابا الكنيسة،حيث قال الخادم في الرواية «هذا الراهب المسن صاحب الآلام هو أحد أبطال الكنيسة، فقد كان في شبابه واحدا من الجماعة الذين فتكو بأسقف الكنيسة جورج الكبادوكي وخرقوه بالسواطير في الحي الشرقي ».[1]

كشف يوسف زيدان خبايا المستور من خلال تصدي الكنيسة ورجالها لكل من كان دو علم وورع، فقد عملت هذه الأخيرة على إبقاء الناس على جهلهم من أجل ضمان سلطة الكنيسة عليهم.

2-7 السياسة:

استطاعت السياسة التسلل إلى جميع جوانب الحياة من دين و فن واجتماع، إذ أن حضورها لم يكن جديدا على الأدب، فقد كان الشاعر قديم اللسان متقيدا بأوامر الحاكم خاضعا للسلطة و إن خرج عن ذلك كان مصيره القتل أو النفي، و لعل هذا من أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور الصعاليك، والتي كانت معهم البدايات الأولى لكشف وفضح المسكوت عنه.

تمرد شعراء الصعاليك على الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية والفكرية فكان التمرد السياسي والاجتماعي، دفعهم نبذ الطبقية والسيطرة والنقم على الأغنياء والأشحاء، كما ثاروا على التقسيم الطبقي للمجتمع القبلي الجاهلي، وتحرروا من المسلمات والخرافات و رموا مبادئ و أسس الحياة العادلة والكريمة و استعدوا للموت في سبيل هدفهم.

1- يوسف زيدان، عززايل، ط 1، دار الشرق، القاهرة، 2008، ص 75 .

«و الصعلوك عموما إن كان شرسا صلبا إلا أنه لم يتجرد من إنسانيته،بل مصدر هذا الصراع فطرته الإنسانية السليمة، التى تأبى الانتقاد والمذلة وذلك لأخذ حقه في المساواة والحياة الكريمة ».[1]

من البديهي أن يخالف الصعاليك المجتمع القبلي الذي تمردوا عليه، في هذا العيش و في شكل التجمع والتعايش والطقوس والمعتقدات، وأن يختلفوا مع فئة موضوعاته وبنية قصيدة شعرائه، بل يتفرد في شعرهم من حيث الموضوع والمضمون.

تعد لامية العرب أو لامية الشنفرى أحد أهم قطع الشعر العربي الذي يبدوا التمرد واضحا فيها.

أقيموا بني أمي صدور مطيكــــــــم	**فإني إلى قوم ســـــواك لأميـــــل**
فقد حمت الحاجات والليل مقمـــــــرا	**وشدت لطيات مطايا و أرحـــــل**
و في الأرض منأى للكريم عن الأذى	**وفيها لمن خاف القلى مـــــتعزل**
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ	**سرى راغبا أو راهبا و هو يعقل**[2]

على الرغم من أن مقاصد شعر الصعاليك كلها تصور حياتهم وما يسودها من سرقة ونهب ومناصرة الفقراء، فإنهم يهتموا بقضايا معينة من تلك الحقبة فقاموا ورصدوا واقعها وعبروا عن همومهم وما لحقهم من ظلم اجتماعي، بسبب الأعراف والقوانين التي فرضتها القبيلة الجائرة .

مع ظهور الفن الروائي كفسحة أدبية يجد فيها الكاتب متنفسا للتعبير عن الإيديولوجية والأفكار والمواقف السياسية، أكتسب الأديب العربي نوعا من الحرية بفضل الواقع الجديد الذي أصبح يعيشه.

من بين أهم الروايات التي تنتقد النظام السياسي إبان الحقبة الناصرية هذا النظام الذي هيمنت فيه الأجهزة الأمنية على المجتمع وتحكمت فيه نجد رواية " ثرثرة فوق النيل " لنجيب محفوظ.

1- عادل محلو، الصوت والدلالة في شعر الصعاليك لامية الشنفرى نموذجا، مخطوطة كنوز جامعة الحاج لخضر، باتنة 2006 / 2007 ، ص 291 .

2- الشنفرى، ديوان الشنفرى.

لقد جسدت هذه الرواية مرحلة الشعور بالهزيمة وفقدان معنى النضال من أجل حياة أفضل تعج الرواية بروح السخرية العميقة، إذ تمس الكثير من الشخصيات الذين قرروا الهروب من الواقع إلى عالم الهديان، رغم أن الجميع يشغلون وظائف هامة في الدولة «لكن الروائي لم يلجئ إلى الوعي الموضوعي لحركة هذا الواقع وإنما أعاد تشكيله بصورة ذاتية وفردية من خلال وعي البطل المقموع».[1]

عمل نجيب محفوظ جاهدا على تعرية المسكوت عنه والكشف عن الفساد السياسي، فدعا إلى الحرية وتغيير الواقع السياسي من أجل حياة اجتماعية أفضل« والمنطق الذي يحكم العلاقة بين السلطة الحاكمة والمواطن لايقوم على علاقات ندية جدلية تحكمها أطراف متعددة لكل منهم ذاته الفاعلة المندرجة ضمن سياق النحن، بل يقوم على نموذج يستند إلى تراتبية قائمة على وجود أنا أعلى مهيمن مقابل آخرين أدني ».[2]

إلى جانب ما ذكر سابقا نجد رواية "اللص والكلاب"هي الأخرى تعالج إشكالية المسكوت عنه وذلك من خلال القضايا التي احتوتها، من أبرز هاته القضايا نجد قضية الصراع بين الحرية والسلطة،إذ أن جميع أبطال رواية نجيب محفوظ غالبا مانجدهم فاقدون للحرية يأملون إلى تحقيقها، لكنهم دائموا الاصطدام بجدار السلطة بمختلف أنواعها وفكرة الصدام تظهر بينة حين وجد مهران نفسه مطوقا من جميع الجهات، الجميع ضده وهو لوحده في مواجهتهم « فقد أدرك أن السلطة لا تقف إلا بجانب الكلاب أمثال عليش و رؤوف علوان إنها تحمي اللصوص الحقيقيين، فهي حكومة تتحيز لبعض اللصوص دون بعض ».[3]

فهذا النظام الذي وجد فيه سعيد مهران الذي يفتقد للعدل والحرية ولد لديه شعور بالحقد و الانتقام، إن أبطال نجيب محفوظ واجهوا وصمدوا في وجه السلطة ونادوا بضرورة خلق قيم نابعة من دواتهم فرفعوا بذلك لواء التحدي والتمرد.

1- فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، ط1، المدى، 2004، ص 21.

2-عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين، السياسة، الجنس في الرواية المغربية (1970-1990) مخطوطة دكتوراه جامعة باجي مختار عنابة، 2003 - 2004 ، ص 131.

3- نجيب محفوظ، اللص والكلاب، ص 105.

3-7 الجنس:

يعد الجنس أهم مقوما للأعمال السردية منذ القدم، يتجلى ذلك في الأساطير والملاحم و الروايات الكلاسيكية ورسائل الحب، لكن العقلية العربية وتزمتها ترى من الجنس أكبر هاجس لما يحمله من صور خليعة وفساد للأخلاق.

«ولتأهيل قيام قول معرفي نقدي في شان الجنس، نطرح في صيغتها الاستفهامية أليس الجنس في تحليل الخير جسدا؟ ذلك أن الجسد هو ما يجعلني أتجذر في العالم»[1]

أي أن إنكار الجنس في الرواية يعني إنكار عنصرا مهما في حياة الإنسان والمجتمع فالجسد سبيلا يسلكه الروائي لإعادة صياغة حياته الاجتماعية حيث يبحث من خلاله عن ذاته الضائعة.

لم يخل الأدب العربي القديم من الصور الجنسية التي تتوغل في جسد المرأة وتسرف فيوصفه، ولعل أبرزها ما كتب امرؤ القيس في معلقاته لكن مع قدوم الإسلام تغيرت المعايير الشعرية ونظر لامرئ القيس على أنه من أهل النار، حيث قال فيه رسول الله- صلى الله عليه وسلم: «كان رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسري في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة و معه لواء الشعراء إلى النار».[2]

ولعل أفحش ما قالته العرب يعود إلى أمرؤ القيس حيث يقول:

ويـوم دخـــلت الخـــــــذر عنيزة ... فقالت لــــك الويلات أنك مرجلـــي

تقول وقد مـــــال بنا الغبيط معـــا ... عقرت بعيري يا أمرا القيس فـانزل

فقلت لـها: سيري وأرخي زمامـــه ... ولا تبعدينـــي من جنـــاك المعلـــل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضـــع ... فألهيتها عـــن ذي تمـــائم محـــول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت لـه ... بشق وتحيتـــي شقهـــا لـم يحـــول

1. عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين، السياسة، الجنس في الرواية المغاربية، ص 212 .
2. ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص 34 .

تطرق "إحسان عبد القدوس" إلى المحظور من خلال تطرقه إلى مواضيع جنسية تمس بالمجتمع وأخلاقه كالزواج السري و الخمر ففي رواية " الطريق المسدود" والتي تدور أحداثها حول فتاة اسمها "فايزة" تعاني مشكلات اجتماعية بعد وفاة والدها وهي في الثانية عشر من عمرها تسلك أمها وأختها طريق الرذيلة، حيث يتم دعوة الرجال إلى المنزل وعقد جلسات الغزل والإثارة، لكــن فايزة تقرر اتخاذ طريق أخر وهو طلب العلـم، ففي طريقها السوي تستغل جنسيا من قبل أستاذ في الكلية...فتتخلى عن فكرة الحب الحقيقي وتقرر فايزة سلك سبيل الأم و الأخت ليس من أجل المال بل من أجل الانتقام من أكبر عدد ممكن من الرجال.

تعود فايزة إلى لقاء الرجل الأول الذي جعلها تؤمن بالحب، فتعرض عليه مفاتن جسدها لكن مشاعر " منير حلمي" وإحساسه يحول جسدها إلى جسد فاقدا للمشاعر، يحدث تغييرا في نفسه ويتحول من رجل مستغل لأنوثتها إلى رجل سيد مكان أبيها.

«إنها لا تستطيع أن تكرهه وكلما اقتنعت بسفالته وأحست بقلبها وعقلها يندفعان إليه... وأنها تريد أن تذهب مرة ثانية وتسمع كلامه الصريح الوقح مرة ثانية».[1]

انتقد" إحسان عبد القدوس" في روايته استغلال المرأة وذلك من خلال إسقاطها على شخصية البطلة "فايزة"ومدى شعورهــا بالحاجة إلى الرجل الذي فقدته منذ الصـــغر، وهي تطمح إلى إعادة بناء العلاقات بين الجنسين لأن المجتمع لا يتوقع من المرأة سوى تلبية رغباته الجنسية وكأن المرأة مجرد جسد خال من الروح و أنها جمال خلق للمتعة.

برزت" نوال السعداوي" كأهم عنصر نسوي، يخوض في مواضيع التابو والمسكوت عنه إذ تناولت الفروقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة «إن العلاقة الزوجية في أساسها وجوهرها قائمة على انتفاع الرجل من المرأة و استغلاله لها استغلالا بشعا أشد بشاعة من استغلال الملك للأجير أو السيد للعبد».[2]

1. احسان عبد القدوس، الطريق المسدود، ط 1، أخبار اليوم، القاهرة، ص 89.
2. نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، ص 119.

ثانيا: الرواية الحديثة و المعاصرة.

يصعب وضع تعريف معين للرواية خاصة بعد ظهور ما يسمى بالتجنيس، أي تداخل الأجناس داخل الرواية.« تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيأتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يصعب تعريفها تعريفا دقيقا و جامعا لأنها تشترك مع باقي الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائها الحميمية و أشكالها الصميمة ».[1]

كما أن الرواية ذات علاقة وطيدة بالمجتمع حتى ليخيل إلى القارئ أنها مجتمع من ورق فالرواية عبارة عن «مجموعة من الأحداث ذات صلة بشخصيات إنسانية تختلف أنماط سلوكها و عيشها في الحياة، تماما كما هي حياة البشر، تروى بأسلوب خـــاص مشوق، فتشدنا إلى الأحداث حتى نظن أن ما يروى قد وقع فعلا ».[2]

يلتبس مصطلح المعـاصرة مع عدة مصطلحـات علـى غرار الحداثـة الحديث الجديد و يتقابل مع مصطلحات أخرى كالأصالة، القدم، التراث و التقليدي كما يعزى الحديث عن مصطلح بالتواشج مع البقية، إلى عدم دخول مصطلح تحت راية أي مشروع فكري مستقل، أو انتمائه لمدرسة نقدية معينة أو اندراجه تحت سقف نظرية أو منهج ما.

و لكي يتم تحديد الواضح للمصطلح لابد للوقوف عند أهم المصطلحات التي يتشابك معها قبل البدء في بحث ماهيته مع العلم أن جل المصطلحات المذكورة أنفا، لم تتعرض للحسم بالنسبة لقضية بحث عن مفهومها، بما فيها المعاصرة فالحداثة لم تقف على مفهوم واحد، راح النقاد يضعون لها عدة تعريفات تختلف باختلاف المعيار المعتمد و من بين التعريفات الموضوعة نجد تعريف "خميس كرم "

1- بحري محمد الأمين، الملتقى الدولي الخامس، السمياء والنص الأدبي، مداخلة سميائية المسكوت عنه الرواية الجزائرية من إنتاجية الدال إلى تسويق المذلول، روايات الطاهر وطار وأحلام مستغانمي نماذج،ص 474.
2- بطرس، أنطونيوس، الأدب تعريفه، أنواعه،مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتب، لبنان ط 2005 ، ص 153.

كانت الحداثة مع ظهورها الأول تعني حب المرء لعصره و احتفاله به و بمستجداته على عكس الآخرين المتغنين باستمرار بعظمة الماضي و الأسلاف، وبانتقال المفهوم إلى مجال الآداب اكتسب معنى جديد، مفاده ضرورة تدمير كافة الأشكال التقليدية الجامدة التي تعوق تطور الفن، ثم في مرحلة لاحقة أصبح مجال هذا التدمير يشمل كافة البنى الاقتصادية و الاجتماعية و الأنساق المعرفية و السلوكية التي تكبل التطور الإنساني و تعوقه.

حاول خميس كرم من هذا التعريف أن يستعرض أهم التطورات التي طرأت على تعريف الحداثة بحكم أن المفاهيم تتطور، أما بالنسبة لمفهوم كلمة الحديث « فرغم أنها كلمة من المفروض أن تكون محايدة إلا أنها ليس في واقع الأمر كذلك، فعادة ما توضع الكلمة في مقابل تقليدي أو قديم و تصبح كلمة معيارية و تعني أن الحديث دائما أحسن من القديم ففي عبارة العلم الحديث و العالم الحديث ثمة إيحاء بأنه علم أحسن و عالم أفضل و هذا كله نتيجة ارتباط الرؤية التحديثية لفكرة التقدم.[1]

جاء في قاموس المحيط «العَصر مثلة و بضمتين الدهر»[2] المعنى هنا عام يدل على الزمن و من المعلوم أن الزمن يكون ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا و« جمع كلمة عصر اعصار و عصور و أعصر».[3]

لكنها عندما تدل على صفة في الشخص أو الشيء يتغير المعنى من الدلالة على الزمن بصفة عامة إلى التخصيص فيقال«أعصر القوم»[4] أي دخلوا في العصر و بالتالي إصطبغو بصبغته و هذا يدل على الزمن الحاضر لأننا لا نستطيع أن نقول عاصر الزمن الماضي أو عاصر الزمن المستقبل، فكلمة "معاصرة" في أحسن الأحوال صفة تدل على أن الموصوف يساير العصر الذي هو فيه.

1- خميس كرم، مأزق الحداثة: نظرة أولية، ندوة الحداثة وما بعد الحداثة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا، يوم 1998/03/13، ص 114.

2- المسيري، عبد الوهاب، التحديث والحداثة، ندوة الحداثة وما بعد الحداثة، ص 61.

3- الفيروز أبابادي الشيرازي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط 3، 1978، ص 89.

4- القزويني الرازي، أبا الحسين أحمد بن فارس زكرياء، مقاييس اللغة، ت ح محمد هارون، عبد السلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص 341.

يأتي الحديث عن المعاصرة دائما مرتبط بالحديث عن التقدم والحداثة وما بعد الحداثة و هاته الأخيرة هي الاسم الآخر للمعاصرة وإن تعددت مفاهيم هذه المصطلحات و التبس معناها، فإن مصطلح المعاصرة ارتبط دوما بالمعيار الزماني إذا تأخذنا دوما إلى الزمن « فالمعاصر يرتبط بالعصر فيكون بذلك ذا دلالة زمانية أما الجدة فلا ترتبط بالزمان إذ قد يكون الجديد في القديم كما يكون في الحديث، أما الحداثة فتعني لغويا إيجاد ما لم يكن موجودا من قبل ويضل هذا حديثا ما بقي فتيا غير مألوف أي ما بقي في منأى عن فعل العادة ».[1]

و إذا كان عنصر الزمن شرطا لتحقيق المعاصرة، فهو الأخر يقتضي شرطا أخر حيث أن المزامنة وحدها لا تكفي مالم تكن مصحوبة بشرط الاستجابة لمستجدات العصر الراهن، فقد يحدث أن نجد شخصا في زمننا هذا ولكنه لا يمت إلى زمنه بصلة، وذلك إذا كان لا يبدي أي تفاعل مع ما يدور من حوله، وبالتالي فهو لا يؤثر ولا يتأثر.

«هناك من يؤرخ للمعاصرة بالحرب العالمية الأولى، على أساس أنها أحدثت في المنطقة عديدا من التحولات السياسية التي تصلح بداية للمعاصرة في الشعر، وهناك من يؤرخ لبدايتها بثورة 1919م على أساس أنها ثورة نابعة من هذه الأرض و من وحي إنسانها العربي، الذي استطاع أن ينتزع لشعبه عديدا من المكاسب السياسية والاجتماعية وهناك من يؤرخ لبداية المعاصرة لبداية الثلاثنيات على أساس أنها الفترة التي شهدت بزوغ العديد من المجالات الثقافية و الأدبية».[2]

يمكن استنباط مفهوما أكثر وضوحا لها و هو أنها« المفاعلة، أي التفاعل بين الإنسان أو الثقافة أو الحضارة وبين العصر المعيش، إنها أشبه ما تكون بتفاعل الإنسان وتلاؤمه مع اللحظة الراهنة من عمره، تفاعلا يضيف به الجديد ويتجاوز به غير الملائم من مواريثه وفق المعايير التي هي توابته و أصالته وهويته».[3]

1- بودرع نادية، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد، عبد الوهاب البياتي ومحي الدين صبحي أنمودجا، مذكرة ماجيستير جامعة الحاج لخضر،2008/2007، ص 21.

2- أحمد العزب، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر القاهرة، 1976/12/13 ص 14.

3- عمارة محمد، الهوية الثقافية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة والتحديات، مجلة الإسلام اليوم، العدد 31، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط 2015، ص 58.

1- الرواية الجزائرية المعاصرة.

إن الحديث عن الرواية المعاصرة يحمل الكثير من الالتباس من الناحية المنهجية في حالة ما إذا أخذنا بالعامل الزمني لوحده، بالإضافة إلى صعوبة تحديد تاريخ معين للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية هي رواية حديثة النشأة، إذ لا يتجاوز عمرها النصف قرن ذلك إذا سلمنا بالافتراض القائل أن أول نص روائي جزائري مكتوب بالعربية ويحمل المواصفات الفنية المتعارف عليها نقديا هو "رواية ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة، التي صدرت سنة 1971 م انطلاقا من هذه المسلمة ، لا يمكننا بأي حال من الأحوال الحديث عن نصوص كلاسيكية في الرواية الجزائرية بسبب عدة صعوبات منها: التداخل الجيلي والمقصود به هو استمرارية الكتابة الروائية بالنسبة لروائيي جيل السبعينيات وتداخله مع الكتابة الروائية لجيل التسعينيات(جيل الشباب).

فالرواية الجزائرية حين ننظر إليها بمنظور الأجيال الأدبية نجدها تنقسم إلى جيلين، هما جيل السبعينيات وهو جيل الرواد المؤسسين وجيل التسعينيات وهو جيل الأدباء الشباب حيث نلاحظ فروق بين هذين الجيلين بالنظر للكتابة الروائية وفي طبيعة المواضيع المطروحة روائيا على اعتبار أن فترة الثمانينيات هي فترة فراغ رغم النصوص الروائية الكثيرة التي صدرت في هذه العشرية، فترة فراغ لأنها كانت امتدادا و استمرارا لفترة السبعينيات على المستوى الفني والإيديولوجية التي انخرط فيها الروائيون الجزائريون فقد ظلت نفس الأسماء من جيل الرواد (وطار، بن هدوقة، مرتاض...) هي الحاضرة بقوة ، وحتى الأسماء المهمة التي بدأت تنشر أعمالها الأولى في عشرية الثمانينيـــــات (واسيني الأعرج، أمين الزاوي...).[1]

م تأتي في تلك الفترة بجديد على مستوى الرؤية الفنية ، وإن كانت قد استطاعت المضي بالشكل الروائي إلى فضاء أرحب عن طريق التجريب والانفتاح أكثر على التجارب الروائية العربية والغربية.

---

1 eljomhoria com.wwwdjazairess2011-01-27

إن روائيي جيل السبعينيات مازالو حاضرين من خلال إنتاجاتهم في الوقت نفسه الذي دخلت فيه الساحة الروائية أسماء جديدة، تحاول طرق مواضيع جديدة بأساليب مغايرة في الكتابة تمثل الجيل الجديد من روائيي التسعينيات(الأدباء الشباب)، وهذا ما نقصده بالتداخل الجيلي.

وعليه يمكن القول أن النصوص الروائية لجيل التسعينيات تندرج ضمن الرواية الجزائرية المعاصرة، ويمكن تحديد تاريخ ولادة هذا الجيل بسنة 1998م، حيث توالت بعدها عملية النشر في مجال الرواية للكثير من الأدباء، الذين ينشرون أعمالهم الأولى والتي تميزت ببعض الخصائص المشتركة ،وهي تعد سنة صدور رواية " المراسيم والجنائز" لبشير مفتي و"الانزلاق" لحميد عبد القادر، وهي سنة لانبعاث الحقل الروائي من جديد وبنفس جديد، حيث كان الحقل الروائي الجزائري يعاني طيلة عشرية التسعينيات من الركود وغياب شبه تام نظرا للظروف الصعبة التي مرت بها، والتي جعلت الكثير من المثقفين يركنون لصمت رهيب وعدم القدرة على فهم مايجري في البلاد أمام همجية الإرهاب التي اغتالت الكثير من المثقفين وهجر الكثير منهم إلى الخارج.

أما من الناحية الفنية يمكن أن نقول أن رواية ذاكرة الجنون ورواية الانتحار للكاتب حميدة العياشي الصادرة سنة 1986م، هي الإرهاصات الأولى لتطليق الشواغل الإيديولوجية التي سيطرت في فترة السبعينات رغم أن العشرية التي تلت صدور هذه الرواية وهي عشرية التسعينيات كانت عشرية ركود وصمت مما تأخر تبلور النهج الجديد إلى غاية 1998م.[1]

1- eljomhoria com.wwwdjazairess2011-01-27

2- رواية الأزمة: إن تسعينات القرن الماضي كانت عشرية لها تأثير كبير، وتميز قوي في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، اتسمت بالعنف والإرهاب، أقل ما يقال عنه أنه كان دمويا، فهذه العشرية التي أذنت لميلاد كتابة روائية جديدة فرضتها الظروف التي عصفت بالجزائر في هذه المرحلة التي عرفت إعلاميا بالإرهاب، لذلك كان لزاما أن تتميز الكتابة الروائية الجديدة بسيمات المرحلة ذاتها فمن أشهر ما أطلق عليها الرواية التسعينية، رواية المحنة، رواية العشرية السوداء، رواية العنف، محكيات الإرهاب، رواية المعارضة، رواية الشباب، رواية ثورة العنف، الأدب الإستعجالي، رواية الأزمة والشائع في اختيار التسميات لهذا الصنف من الأدب هو رواية الأزمة لقربها الشديد للأحداث السياسية والدينية والاجتماعية و الاقتصادية، هذه التحولات كانت حاملة لمعنى الأزمة أكثر من أيْ معنى أخر، ولقد أحيطت رواية الأزمة بكم لا متناهي من الانتقادات والنعوت التي تكاد تجمع على إخراجها من دائرة الفن الروائي عند بعض النقاد والدارسين داخل الجزائر وخارجها، أشهرها مصطلح الأدب الاستعجالي الذي أطلق أول مرة على رواية الأزمة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وهو مفهوم يرى فيه إبراهيم سعدي أنه يعكس نظرة تسعى إلى رد الرواية لحاجات السوق[1]

ويقر بشير مفتي وهو واحد من كتاب هذه الرواية في الجزائر بهذه القناعة قائلا: «تفاعل الأدب الجزائري مع عشرية الأزمة والحرب الأهلية، وكتبت المئات من الروايات باللغة الفرنسية والعربية غلب عليها الطابع الاستعجالي والتسرع، وكذلك طغيان الرؤية الإيديولوجية والأسلوب المباشر»هناك من الكتابات التي تقف مع طرف دون أخر، فنجد من يوالي السلطة كتب روايات تدين الإسلاميين والإرهابيين مثل: رشيد بوجدرة، واسيني الأعرج، رشيد ميموني، بوعلام صنصال... وتدافع عن الجيش الذي أوقف المسار الانتخابي، ولم يترك التجربة تذهب إلى أبعد حد، وهناك من كتب ضد السلطة العسكرية مثل: طاهر وطار، حميدة العياشي، سليمة غزالي.[2]

1. د. ابراهيم سعدي، تسعينات الجزائر كنص سردي، بين الملتقى الدولي السابع، عبد الحميد بن هدوقة والرواية، أعمال وبحوث، مجموعة محاضرات، الملتقى الدولي السادس، ط6، 2003، برج بوعريريج، الجزائر، ص 24

2.بشير مفتي، سيرة طائر الليل، نصوص، شهادات، أسئلة، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2013، ص 90-91

*المسكوت عنه في النص الروائي الجزائري.

كان النص الروائي الجزائري يواكب كل ما هو حاصل في المجتمع من تحولات وصعوبات، فقد كان المنبر الذي وجد فيه الكتاب والأدباء المتنفس الوحيد لأفكارهم وآرائهم التي أرادوا إيصالها للمجتمع عن طريق قراءة هاته النصوص وتصفحها، وتعد فترة السبعينات هي الفترة التي عرفت ظهور رواية جزائرية ناضجة، على الرغم من ظهور بعض النصوص قبلها مثل أول عمل جزائري كان ذا منحى روائي وهو " حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لصاحبه محمد بنإبراهيم سنة 1849م، ثم تلتها نصوص أخرى "كغادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو سنة 1947م، والطالب المنكوب سنة 1951م لعبد المجيد الشافعي، وريح الجنوب سنة 1971م لعبد الحميد بن هدوقة، ففترة السبعينات هي الفترة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة" ريح الجنوب"[1] و" ما لا تذروه الرياح" لمحمد عرعار، و روايتي" اللاز" و" الزلزال" لطاهر وطار، ومن هنا تكون تجربة روائية جزائرية متقدمة من سماتها الشجاعة في الطرح و المغامرة الفنية والحرية السياسية[2]، ثم تلت هاته المرحلة مرحلة الثمانينات والتسعينات، فالأولى كانت بمثابة اتجاه روائي تجديدي حديث في نمط الأدب الجزائري، أما الثانية فقد حفلت بالروايات المؤسسة لنص روائي باحث عن تميز إبداعي مرتبط بالمرحلة التاريخية والواقع الاجتماعي المعاش آنذاك المتمثل في العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر.

فالنص الروائي الجزائري إذن كان جنب إلى جنب مع الواقع المعيش وتحولاته السياسية والاجتماعية و الثقافية، فالنص الجزائي بمثابة الديوان الذي احتوى على كل متغيرات وتحولات المجتمع الجزائري.

فهناك العديد من الروايات التي تناولت الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية وحتى الجنسية في المجتمع الجزائري.

نتناول نماذج روائية جزائرية برزت بكل وضوح في هذا المجال.

1- احمد دوغان، في الادب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ر ط، 1996، ص505-506

2- ادريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص50

1- نماذج روائية تضمنت المسكوت عنه.

1-1 المسكوت عنه في روايات فضيلة الفاروق.

1-1-1 المسكوت عنه دينيا.

تناولت فضيلة فاروق المسكوت عنه من خلال علاقته بالمرأة العربية عموما وبالجزائرية خصوصا، فهي المرأة التي حاولت أن تتحرر من قيود الرجل وسلطته، ومن قيود الدين هذه القيود التي اجتمعت لتجعل الأنثى ضحية الإستيلاب.[1]

فقد عملت فضيلة الفاروق في رواياتها على تحرير المرأة من قيود الدين والرجل:«حيث تكشف الكاتبة من خلال رواياتها مكانة المرأة الحقيقية في مجتمع بال تسيره عادات وتقاليد بائسة، سعيا منها إلى إظهار المكانة الحقيقية التي لابد أن تحضى بها المرأة في المجتمع الذي جعلها مكبلة الأيدي والأرجل وجعلها فيه مجرد هامش لا يقتضي أن يكون له عالمه الخاص».[2]

وتطرقت الكاتبة للعديد من المواضيع الدينية في رواياتها منها: رواية" الحجاب" الذي تريد به المرأة السترة في المجتمع العربي الإسلامي إذ يبدو الحجاب حسبها كفنا تطوق به المرأة وتحرم بسببه من ممارسة حياتها بطريقة عادية، وربما قد يكون سببا في فشلها وحاجزا بينها وبين طموحها وآفاقها وحريتها، وأمانيها، حيث صورت الحجاب بصورة بشعة مشيرة للاستنكار. فتقول:«وجهي لم يعد يحتملني بتلك الكذبة التي أرتديها» كما ورد في رواية مزاج مراهقة.[3]

2-1-1 المسكوت عنه جنسيا:

إن الكتابة في الجنس في الساحة الأدبية الجزائرية تلقى نوعا من الجدل لإعتبار أن مجتمعنا لا يزال محافظا، ويبدي نوع من الرفض لهاته الموضوعات إلاَ أن فضيلة الفاروق تطرقت له وبجرأة، فتناولت موضوع الجنس وكتبت عنه بطريقتها الخاصة ، وكثيرا ما هوجم أدبها بوصفه أدبا متمردا أو باعتبار رواياتها التي تحكي عن الممنوع الذي لا يجب حكيه.[4]

1- سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة ماجيستر، أدب جزائري، كلية الآداب واللغات جامعة سطيف،2013-2014، ص63.

2- المرجع نفسه، ص64.

3- المرع نفسه، ص 65.

4- سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص173

مخالفة بذلك للعادات والتقاليد، فالروائية لجأت إلى ألفاظ ومفردات جنسية بارزة ذلك في رواياتها خاصة رواية " اكتشاف الشهوة" وما احتوته من قاموس الجنس.

من بينها ما ورد فيها«بين ليلة وضحاها أصبح المطلوب مني أن أكون عاهرة في الفراش، أن أمارس الجنس كما يمارسه هو، أن أسمعه كل القدرات، أن أمنحه مؤخرتي ليخترقها بعضوه».[1]

فهذه المفردات تعد غريبة على قاموس مفردات المجتمع الجزائري، وترى الكاتبة أن تحرير المرأة تبدأ من تخطي الحدود التي وظفتها ذهنية الرجل، والثقافة الهمجية القامعة التي لا ترى المرأة إلا جسدا، ولا تؤمن بها روحا و إبداعا، وانطلاقا من هذا فإن رواية اكتشاف الشهوة جاءت لتحكي واقع المرأة في صراعها مع الأخر المتشبع بثقافة استعلائية سائدة منذ أزمنة، تجعل من المرأة كيانا غير مؤهل.[2]

فالكاتبة تريد تحرير المرأة من الحدود التي رسمها لها الرجل وألزمها بعدم تخطيها.

إن الجنس في كتابات فضيلة الفاروق عبارة عن رؤية متنامية ومتشبعة، يأخذ هذا الموضوع حيزا لا منتهيا من خلال تموضعه في مكونات الحكي، حتى يبدو أحيانا شموليا إذ من بؤرته تتفرع وتكون عوامل الحكي ومكوناته.[3]

3-1-1 المسكوت عنه سياسيا:

تطرقت الروائية فضيلة الفاروق إلى ما هو مسكوت عنه في الجانب السياسي في رواياتها وأهم موضوع كان له التأثير البارز في رواياتها هو موضوع الإرهاب وبشاعة أفعاله المخربة أثناء سنوات الجمر، فالإرهابيون كانوا أعداء الثقافة والفن والعلم، يقتلون كل من له صلة بتلك الأمور الضالة، لتلك طالت موجة تهديد الجميع من مثقفي البلاد في تلك الفترة، أقول في رواية مزاج مراهقة«قلت :هذا يعني إنك تلقيت تهديدا فعلا؟»

«قالت بهدوء من لم يتلقى تهديدا في هذا البلاد؟».[4]

1- سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص175.

2- المرجع نفسه، ص81.

3-المرجع نفسه، ص182.

4- المرجع نفسه، ص129.

وتقول الكاتبة في رواية "تاء الخجل" :" وحين بلغت موجة اغتيالات الصحفيين ذروتها أدركنا جميعا أن باب الحديد الذي نغلقه بمقر الجريدة لا يحمينا ما دمنا متشتتين... أظن أننا شيئا فشيئا توحدنا بعد أن قتل اثنان منا وفر بعضنا إلى فرنسا ولندن ودول عربية.[1]

فالإرهاب قتل العديد من الناس وركز على الطبقة المثقفة بالقتل والتهديد لأنها الأدرى بهم ولها معرفة بأفعالهم، ولم تنحصر أفعالهم عند التهديد والقتل فقط بل تعداها إلى الاغتصاب.

كما ورد في رواية تاء الخجل «ثم أشارت إلى أن أسكت وواصلت الحديث: هل تعرفين ماذا يفعلون بنا أنهم يأتون كل مساء ويرغموننا على ممارسة العيب وحين نلد يقتلون المواليد، نحن نصرخ ونبكي ونتألم وهم يمارسون العيب، نستنجد ونتوسل لهم ونقبل أرجلهم أن لا يفعلون ذلك لكنهم لا يبالون».[2]

2-1 المسكوت عنه عند واسيني الأعرج.

1-2-1 المسكوت عنه سياسيا.

لقد نحى واسيني الأعرج في كتاباته بعد الخامس من أكتوبر سنة 1988 منحى أخر، هذه المرحلة التي وجد فيها الإنسان نفسه يواجه متاهات جديدة لاسيما وأن كل التجارب التي قام بها أثبتت فشلها في إصلاح الأوضاع، كما فقد الإنسان الإحساس بالقدرة على التطور في عصر سادت فيه كل أنواع الإبادة والعنف وسقوط العديد من الضحايا، إذ جاء إنتاجه في هذه المرحلة مميزا بروح الوجودية والاغتراب والعبث واللا جدوى، وباتت الحقيقة الوحيدة في هذا العالم المقهور هي الفوضى، إذ أصبح الإنسان أداة يضحى بها في سبيل حركة مدمرة شوهت كل المفاهيم، تسمي نفسها بأسماء مختلفة منها الإصلاح ومنها الثورة.

والروائي واسيني الأعرج يحاول في رواية "سيدة المقام" تجسيد هذه المرحلة التي اتسمت بأحداث ومتغيرات جديدة في الساحة السياسية، حيث حل مبدأ الفصل بين السلطات والتعددية الحزبية محل الحزب الواحد المحتكر للسلطة.

1- سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص128.
2- المرجع نفسه، ص129.

وبذلك خاض واسيني الأعرج في تابو السياسة كاسرا المحظور السياسي، فرواية سيدة المقام تلامس بكثير من الجرأة والعمق مقدمات الحقبة الدموية وتطرح قضية سياسية خالصة في جوهرها.[1]

2-2-1المسكوت عنه دينيا.

إن عدوانية الكاتب لعنصر الدين جاءت من رؤيته الخاصة لهاته القضية، فهو يرى أن الدين نوع من التخلف، ولا يرى مبررا لوجوده، وبهذا المفهوم للدين يؤسس إيديولوجيته الخاصة به والتي تحرك جميع الشخصيات الروائية، فالدين هو المتسبب في فساد جميع الأنظمة.

ويمكن أن نميز داخل المتن الروائي عند واسيني الأعرج إيديولوجيتين هما: إيديولوجية دينية تقليدية تشكو الفراغ الرهيب في بنيتها الداخلية، وإيديولوجية ثورية علمانية تعيش وسط عالم يسيطر فيه الظلم والقهر والقمع.

كما تطرق الكاتب واسيني الأعرج إلى كسر تابو الدين والخوض فيه، حيث وصف الإسلاميين في لباسهم الأفغاني ولحاهم الطويلة ورائحة عطورهم القاسية، الذي يصفه بالعطر الذي يسكب على جثث الأموات، كذلك يصفهم بالشذوذ والانحراف، ولا يكتفي الكاتب بنعتهم بهاته الأوصاف فقط، بل يسعى في كثير من الأحيان إلى تعميقها من خلال ممارساتهم الفعلية داخل المتن الروائي، فهم من أجهزوا على مريم بعد أن أغلقوا صالة الرقص التي تمارس فيها هوايتها، وهم من طردوا أناتوليا إلى بلادها متحسرة بعد عدة تهديدات، وهم من كانوا وراء انتحار البطل على جسر تيليملي، إذ يعتقد الكاتب أن المعاناة التي تعرض لها الشعب سببها التيار الديني، وفقهاء الظلام فهم معادون لكل مظاهر التقدم والتحضر.

فمن خلال وجهة نظر الكاتب حول اتجاه التيار الإسلامي تتجلى لنا قضية الخوض في المسكوت عنه دينيا عند واسيني الأعرج.[2]

1- سمية زغير، اللغة المسكوت عنها في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، مذكرة ماجيستر، جامعة منتوري قسنطينة،2011، ص16.

2- المرجع نفسه،ص19 .

3-2-1 المسكوت عنه جنسيا.

تحدثنا فيما سبق على أن البطل في رواية واسيني الأعرج مقهور في مجتمع لا يرحم يعيش حالة اغتراب عن الذات؛ اتسمت بوجع عاطفي من جهة وإدانة نفسية قصوى من جهة أخرى، يحاول إثبات هويته الضائعة بممارسته للجنس.

ففي رواية سيدة المقام تقف مريم راقصة الباليه لتعلن أن الزواج في مدينة فقدت بريقها وأضاعت معالم هويتها إعلان مسبق عن حالة إفلاس باطنية، ومأساة جديدة تضاف إلى عمق الهزيمة التي تكبر معنا مثلما تكبر معنا فضاءات عيوننا.[1]

ووسط هذه الأجواء يظل الرجل يركض وراء أنثاه في أغلب الأحيان ليس حبا ولكن ليفرغ فيها جحيمه وكبته، بعد أن يعطيها ظهره في الفراش وتموت الحميمية تحت همجية اللحظة المقهورة، وبعد سنة أخرى يبدأ بحثه المحموم عن امرأة أخرى تكمل دينه وشهوته.[2]

فيأتي الجنس ليعكس ضياعا نفسيا مهولا، فحين تقدم مريم على الزواج من موظف البريد تعترف في قرارات نفسها أنها كانت مجبرة على القبول تقول:«وجدت نفسي في لحظة من اللحظات مجبرة على ارتكاب الحماقة التي لم أصنعها أنا».[3]

ويبرز الجنس الوجه الخلفي لمأساتها الوجودية وتدرك من خلاله تفاهة ما تعيشه وما تسعى لتحقيقه يوما، وإن الحقيقة المطلقة في هذه الحياة أن المرأة في هذا البلد لا تصلح إلا لردم الرغبات المهووسة المقموعة عبر السنين.[4]

كما ورد أيضا في روايات واسيني الأعرج عدة مواقف ومشاهد جنسية كثيرة وبذلك يمكننا القول أن واسيني الأعرج قد طرق أبواب المسكوت عنه بجرأة في الجانب الجنسي.

1- واسيني الأعرج، سيدة المقام، دار الأدب العربي، ط1، 1995، ص101.
2- المرجع نفسه، ص102.
3-المرجع نفسه ، ص103.
4- المرجع نفسه، ص42.

3-1 المسكوت عنه عند بشير مفتي.

الكاتب بشير مفتي وكغيره من الروائيين كسر التابوهات المسكوت عنها في العديد من أعماله الروائية، وأبرز مثال على ذلك رواية "المراسيم والجنائز" والتي تميزت بالنزعة التجديدية من حيث المضمون ومعالجة الواقع، كما يوظف بعد السياسة مقتحما الموضوعات الحساسة انطلاقا من استقراء الواقع وما يحمله الخطاب السياسي من مضامين تعبر عن تصورات وتوجهات، إذ عالج في رواية "المراسيم والجنائز" ظاهرة العنف والانحراف السياسي، وما تراكم عنه من أحداث على أرض الواقع، كما أرخت هذه الرواية لحقبة جديدة في تاريخ الرواية الجزائرية الساعية للتجديد والحداثة.

إن هذا النص الروائي على عكس باقي نصوصه، لا يحاول تصفية الحساب مع التاريخ وأسباب الانحراف السياسي التي تولد عنها العنف، وإنما هي عبارة عن رحلة عبر مخيال مجموعة من الأفراد يبحثون عن ذواتهم الضائعة بين الواقع والممكن، بين الخيبة والأمل، بين الإرادة والإحباط، ولعل تداخل العلاقات بين أفراد هذه المجموعة التي تشكل عالم مصغر لجيل أصبح ضحية لتلاعبات سياسية تجاوزته، معيقة كل رغبة في الحب والسعادة والحلم.[1]

إن النص الروائي يضع أمام القارئ مصائر كل من الصحفي والأستاذ الجامعي وأصدقاءه (فيروز، وردة قاسي، حميد عبد القادر، حميدي ناصري)، هؤلاء الذين يعيشون في خضم أحداث العنف، يبحثون عن الصفاء والطمأنينة، ولكن أجواء الإضراب الذي شنه أتباع سعيد الهاشمي واحتلاله لساحات المدينة توحي بأن الأمور تسير لما لا يحمد عقباه، «كان حي بلكور مملوء بالحركة والتمرد ولا شيء يدل على الطمأنينة».فالخوف والقلق والبؤس بالإضافة إلى الاغتيالات التي تمس المقربين، مثلما فعلوا بعمر حلزون الذي قطعوا رأسه. هؤلاء إحتلو النفوس قبل الكراسي، نالوا في البداية تعاطف جميع الناس لأنهم حملوا أشعار الحرية والإنقاذ، لكنهم انقلبوا على المجتمع وعاثوا في الأرض فسادا.

الرواية هي عبارة عن حكاية لعذاب هذا السفر، هذه الرحلة المؤلمة، يحكها الراوي لفيروز تلك الفتاة التي أحبها حبا كبيرا لكنه متردد ولم يحسم موقفه منها.[2]

-1- بشير مفتي، المراسيم والجنائز، منشورات رابطة كتاب الاختلاف، ط1، الجزائر، 1998، ص10.

2- المرجع السابق، ص28.

والسبب يعود إلى أنه كان متناقضا في علاقته مع النساء، يحب فيروز ويعشق وردة قاسي ويمارس حياته الجنسية مع أخريات... وهذا سبب ابتعاد فيروز منه، والرواية كلها عبارة عن بحث عن هذه الفتاة الجميلة والمتمردة، وكأنها خلاصة من هذه الأزمة النفسية والاجتماعية التي يعيشها في ظل أجواء الإضرابات السياسية والاغتيالات والمجازر الجماعية، وتبرز الرغبة في الكتابة كحل وسط بين الهرب والموت، فالكتابة هي السلاح الوحيد لهذه المعركة لتعرية الواجهة ونزع الأقنعة و فضح المسكوت عنه.

وبهذا يمكننا القول أن بشير مفتي كسر تابو السياسة، كما تخطى المحظور بخوضه في تيمة الجنس وحتى الدين.

الفصل الثاني:
المسكوت عنه
في رواية الزاوية المنسية
لليامين بن تومي

تمهيد:

إن الرواية الجزائرية استطاعت كغيرها من الروايات العربية أنْ تفك الحصار عن موضوعاتها وتصرح للأمم عن الجانب الخفي من حياة شعبها، متسللة إلى المواضيع المسكوت عنها حيث أعلنت تمردها وثورتها على الأوضاع السائدة، فكشفت الحجاب عن الانتهاكات السياسية والخوض في الجنس والدين. ومن أبرز من كتب واخترق التابوهات السائدة في المجتمع نجد الروائي اليامين بن تومي الذي تناول مواضيع وتيمات الثالوث المحرم "الدين، السياسة، الجنس" ضمن أعماله الروائية وتحديدا رواية "الزاوية المنسية" ومن خلالها خاض في الدين وفي غمار السياسة وتحدث في الجنس.

- التعريف بالكاتب اليامين بن تومي:

من مواليد 17 فيفري 1976م، أكاديمي وباحث جزائري متخصص في تحليل الخطاب والنظرية النقدية والسيمياء والآداب العالمية، أستاذ بجامعة فرحات عباس – سطيف- اهتم باللغة وآدابها وكابد البحث العلمي بكل مواصفاته، حيث ساهم في تأسيس العديد من المؤسسات العلمية والبحثية كالرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة والشبكة المغاربية للفلسفة والإنسانيات، أضف إلى ذلك عضويته في العديد من الوحدات البحثية وكذا إشرافه على العديد من الأطروحات الأكاديمية، شارك في ملتقيات دولية، نشر بحوثا في مجلات عربية كثيرة، له مجموعة من الأعمال منها:

- مرجعيات القراءة والتأويل، قراءة في مشروع حامد أبو زيد، عن الدار العربية ومنشورات الاختلاف.

- التفاعل البروكسيمي في السرد العربي، قراءة في دوائر القرب عن دار بن النديم بيروت.

- النهضة العربية، ممكنات النهضة في الجزائر عن سلسلة مواطنة الجزائر.

وله كتب جماعية مثل: مدرسة فرانكفورت وفلسفة الدين، وكذلك مجموعة من الروايات حصل على جوائز وتكريمات منها:

- جائزة رئيس الجمهورية عن رواية " الوجع الأتي".

- جائزة عبد الحميد ابن باديس عن روايته " من قتل هذه الابتسامة".

ومن رواياته أيضا الزاوية المنسية التي هي موضوع بحثنا هذا.

- قراءة في الرواية:

«هذه ليست سيرة لشخص بل هي مأساة بلد أتقن الهروب نحو الخلف إلى زمن الردة...» هكذا وقع الروائي الجزائري اليامين بن تومي روايته (الزاوية المنسية) الصادرة عن منشورات الوطن اليوم 2017، رواية تدخل فلسفة العقل لتلامس الصراع النفسي وثلاثية الدين والجسد والعدمية وتفاصيل أخرى، لطالما صنفها المجتمع العربي على أنها تابوهات لا يجدر الحديث عنها، واضعا يده على أزمة الخطاب الديني في مساجدنا وموجات التكفير التي عرفتها الجزائر خلال العشرية السوداء بسبب بروز الكثير من التيارات الدينية المتشددة.

هذه الرواية التي بعد قراءتها ستشعر أنك خرجت من صراع فكري طويل ويبقى عقلك ينزف أفكارا، رواية ممتعة بلغة سردية مميزة بالرغم من أنها أقرب إلى السيرة إلا أنها كما يرى مؤلفها بأنها ليست سيرة لشخص وإنما هي تعبير عن الواقع السائد آنذاك.

أتت الرواية بشكل مختلف على ما عهدناه من بداية السرد مباشرة، فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

الأول هو عتبة الاعتراف والثاني هو الوصية، وأمَا الثالث فهو الرسالة ليبدأ السرد بصيغته الممتعة، إذْ تتناول رواية الزاوية المنسية قضية مهاجر جزائري إلى باريس، أتهم بالإلحاد والشيوعية في تسعينيات القرن الماضي.

وفي باريس حيث أجواء الحرية يواصل هذا المهاجر الطاهر بن معروف تعليمه ويصبح أستاذا في جـــامعة باريس، وفي تلك الأجواء يحاول أن يقلب دلالات كلمة الإلحاد وجذورها في كتب التراث العربي، وعندما تصله رسالة رسمية من الجزائر تطالبه بالحضور لاستلام الإرث، الذي خلفه والده بعد وفاته ووصيته في خلافته للزاوية المنسية.

يعود الطاهر بذاكرته إلى حياته وبداياته في قرية العين وسرد حياة والدته التي مارست البغاء مجبرة، ومع التركة يجد رسالة تخبره بأبيه الحقيقي التي أخفته أمه عنه أولى حياته سوى تلميحات، ويتولى سرد تلك الحياة على نحو متزامن مع الصراع السياسي العنيف والإرهاب الذي ضرب الجزائر، وعنف سلطة العسكر ضد الإسلاميين، والحياة الاجتماعية التي تحركها قوى لا تحتكم إلى العقل والواقع العلمي.

يمكننا القول إن الرواية التي بين أيدينا تتكون من قسمين سرديين كبيرين أحدهما "سرير أمي" والثاني "متاهة الميلاد" وكل منهما يتكون من العديد من المشاهد السردية، التي تتحرك بين فضائي قرية العين الجزائرية والمنطقة التي يسكنها الراوي في باريس.

يقوم بعملية السرد في الرواية راو بضمير المتكلم (أنا) هو ذاته بطل الرواية "الطاهر بن معروف" الأستاذ بجامعة باريس الذي كافح طول حياته من أجل تأكيد قيمة المعرفة ووزن الفلسفة في حياة المجتمعات الطامحة إلى التقدم، الهاربة من مطاردة أشباح التخلف فانحصرت أيامه بين قطبي التصوف والإلحاد، حتى انتهى به المطاف راغبا في إمامة أو مشيخة الزاوية المنسية في قريته، نزولا عند رغبة أبيه المتوفي شيخ الزاوية. السابق،

وعبر هذه المرحلة المطولة بين الجزائر وباريس والعكس، أي بين باريس والجزائر، تعري الرواية حقيقتي نهاية الثمانينات وطيلة سنوات التسعينات (العشرية السوداء وما خلفته من أحداث مأساوية في نفوس الجزائريين)، وتكشف عن مدى التفتح الذي طال المجتمع الجزائري كله شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

في هذا السياق سعت رواية الزاوية المنسية إلى تمثيل عالم سردي يعمل على تحليل صورة الجزائر في عز الأزمة التي عصفت بها في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، كما تعد محاولة جادة للكشف عن الأسباب التي فرقت بين أبناء الوطن الواحد والبحث عن تفسير لمثل هذه الظاهرة.

في رواية الزاوية المنسية ثمة جدل أو صراع محتدم بين عدد من الرؤى والمفاهيم الثقافية التي اشتغلت عليها أو الذي أنتجها هذا الصراع الإيديولوجي الثلاثي القطب ،ما بين رؤية علمانية (إلحادية) وأخرى إسلامية (ممثلة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، وثالثة عسكرية (ممثلة في الجيش والسلطة الحاكمة)، ثلاث رؤى تناوشت في المجتمع الجزائري وقطعت أوصاله وأعاقت تقدمه الفكري والحضاري.

تطرح الرواية إشكالية تاريخية وانطولوجيا وإيديولوجيا وهذه الإشكاليات تتجانس مع بعضها لتنجب واقعا مشوها ومصابا بداء يستعصى علاجه، وقد كان تطورا سرديا، انطلقت منه هذه الرواية التي انطوت على رؤية ثقافية ومعرفية تتمثل في السلوك النقدي للراوي حيال مفاهيم العقل العربي والوعي الاجتماعي و العادات والتقاليد ومنظومة القيم والأخلاق والورع الزائف، وهنا تكمن أزمة الراوي الذي تعرض إلى الإقصاء والتهميش والتهجير نتيجة لذلك الوعي، فالوعي في المجتمع العربي الخاضع لنوع من الثقافة التقليدية المتحجرة، هو إشكالية المثقف عموما في المجتمع العربي.

تمكنت اللغة السردية من المحافظة على قدرتها في الإيحاء والتمثيل الدلالي وتصوير الأحداث، والأفكار ونقل الآراء وتصوير المشاهد والأحداث والأفعال والزمان والمكان والعالم الداخلي لشخصيات الرواية ونقل ردود أفعالها وخلفياتها الثقافية والفلسفية ، وقد كانت لغة الحوار لغة عينية بما تكشفه من حيثيات الأحداث وخلفياتها، وقد تضافرت معها اللغة السردية لمنح فضاء الحكي حركية وإيقاعا يشير القارئ إليه.

في خاتمة الرواية استطاع الراوي الاقتناع بأسباب عودته إلى الوطن مرة أخرى بحثا عن الزاوية المنسية التي أوصاه والده برعايتها وإمامتها، لكنه على العكس من ذلك عاد مع زوجته الفرنسية هذه المرة، حاملا معه طرق التقدم وشروط الحداثة، على أمل تغيير الواقع المتردي الذي عاشته البلاد قبل سنوات قليلة.

وسنحاول التطرق إلى ما جاء في الرواية من تيمات خاض الكاتب فيها كاسرا بذلك حاجز الصمت والمستور.

1- موضوع الدين.

إن الدين من أهم الأساسيات التي تبنى عليها حياة الشعوب إذْ يفسر كل ما يعجز العقل عن تفسيره «وهو ذلك الثابت الساكن في الحقائق الأزلية ينظر إليه ليستلهم مهده وذلك كان يشكل دائما التبرير الميتافيزيقي للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة».[1]
والإنسان كائن متدين، فطر على التوحيد لكن الفطرة تغيرت، والديانات تعددت ومظاهر التدين تشعبت واختلفت واتسعت بذلك أشكال الإلحاد والتصوف، وظهرت العديد من التيارات والفرق والطرائق، وكل ذلك مرده إلى أن الإنسان لم يستطع أنْ يعيش خواء دينيا إذْ ارتبط الدين بحياته ومصيره وبدايته ونهايته، بفكره وشعوره، بنفسه وجسده. فالدين إذا دليله الأول تترجمه الأقوال والسلوك، وتثبته الطقوس والممارسات، لذلك فالدين بالنسبة للإنسان نبض الحياة، لذلك لا يمكن تصور حياة الإنسان تخلو من الخطاب الديني الذي هو الأخر خطاب مواز يتجلى في المحظور الديني، هذا الأخير الذي يعد عنصرا استقطب جل الروائيين المعاصرين لسببين: أما الأول فهو مسايرة للأوضاع ووصف لحالة المجتمع، والثاني من أجل كسب الشهرة والترويج لمنتجاتهم.

لذلك نجد أن الخطاب الروائي الجزائري المعاصر قد استعان بالدين، واقترض منه التعبير عن القضايا الأكثر جرأة سواء كانت قضايا اجتماعية، ثقافية، فكرية وحتى سياسية، فهنا تكمن ميزة المحظور والمسكوت عنه والذي لم يتطلب التصريح خوفا من قبح العرض وتقويض حاجز الأخلاق في المجتمع مما يعرض الأديب لعقوبات قاسية من طرف السلطة.

وراية الزاوية المنسية لليامين بن تومي وكغيرها من الروايات الجزائرية المعاصرة خاضت في تيمة الدين كاسرة هذا المحظور، ومن بين المشاهد التي حوتها هذه الرواية ما يلي :

1- جيرار جهامي واخرون، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي و الإسلامي المعاصر،ج1، لبنان، بيروت، ط1 2004، ص103.

أ- التصوف:

التقت الرواية العربية المعاصرة بشكل عام مع التصوف خاصة الرواية الجزائرية، ومنها رواية الزاوية المنسية، حيث نهلت مادتها الخام منه كمظهر من مظاهر الحداثة التي ميزت متنها السردي، في خضم التجريب الروائي الذي تهافت عليه الأدباء المعاصرون لاسيما الجزائريين، أمثال اليامين بن تومي بحثا عن أشكال وأنماط جديدة باعتبارها منافذ تؤهلهم للعالمية، إذْ وجد بن تومي نفسه وجها لوجه أمام تراث صوفي هائل نهل منه واستثمره في رواية الزاوية المنسية.

هذه التجربة الإبداعية التي تلتقي مع التجربة الصوفية فتشكلان شكلا راقيا، ولأن التصوف وسيلة للبحث عن الحقيقة المطلقة في عالم الغيب، فإن أهمية الخطاب الصوفي تبدو جلية في الأدب نظرا لكون التجربة الأدبية لا تختلف عن التجربة الصوفية في محاولة لمس الذات الإنسانية، والتعبير عن مكنوناتها وخلجاتها بواسطة خطابهما.

ومما ورد في رواية الزاوية المنسية من هذا الشأن قول الكاتب«من هناك من تلك الغرفة المطلة على القرية بدأت استرق السمع والبصر للعلام أكلم المطلق التصق به وأبكي حسرة أين أنت؟ صحيح أنني لم أعبدك لم أصل لك يوما لكنني كنت محبا لهذا العالم الجميل، عاشقا لتناسقه وانسجامه وحضوره في، أشعر أنك هنا تشلني ترقـد داخلي أيها المدى البعيد»[1]

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية،منشورات الوطن، 2017، ص48

ويورد في موضع أخر«أنت وحدك أنا وأنا وحدي أنت من تكون؟ يامن يقتلون السماء باسمك ويكفرون الناس باسمك، ويخربون سكينتنا باسمك، إن كنت أنت خالق هذا الكون الجميل والبديع حق كيف لهم وأنت الباني، وأن تكون ربهم وهم الهادمون وأنت الحي وهم القاتلون، وأنت الجميل وهم القبح كله».[1]

ويضيف قائلا:« لقد اصطفيتني واخترتني لنفسك، لأذكرك لا بسفك الدماء والتكفير وإنما بالتأمل أن مشروع بني يؤجل إلى ميلاد جديد».[2]

كما يقول أيضا:« من هنا سأعرج إليك مثل نبي أصعد إليك أكلمك لعلك جئت بي هنا لأنك تحبني هل أنت تعشقني؟ ».[3]

هنا يتضح لنا جليا أن ما ورد في الرواية من ظواهر صوفية و التي برزت بشكل واضح في الرواية تعتبر نوعا من الثورة على الطابع الديني الرسمي و الطقوسي السائد والمتداول في الوطن العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، مما يجعل هذه الفسحة كسرا وخرقا للمحظور الديني وتصريحا بينا للمسكوت عنه.

ب- الإلحاد:

إن الإلحاد بمعناه الواسع هو عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة، وبالمعنى الضيق يعتبر الإلحاد على وجه التحديد موقف أنه لا توجد آلهة وعموما يشير مصطلح الإلحاد إلى غياب الاعتقاد بأن الآلهة ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله أو الألوهية، إذْ أن مصطلح الألوهية يعني الاعتقاد بأنه يوجد اله واحد على الأقل، خالق هذا الكون ومسير شؤونه.[4]

لقد تطرق الكاتب في روايته إلى تأزم الخطاب الديني وانتشار الحرية الفكرية، فكان الإلحاد كتوجه في العالم وكرؤية للوجود تنبع من لب هذا الصراع.

ومن بين ما صرح به الكاتب وكشف الستار عنه في قضية الإلحاد قوله:«ما أروع الإلحاد الذي أنقذني من الموت هنا فقط طرحت ذلك التساؤل المدوي، ما الإلحاد؟».[5]

1-اليامين بن التومي، الزاوية المنسية، ص49.
2 -المصدر نفسه، ص49.
3 - المصدر نفسه، ص49 .
4-موقع الانترنت،https//ar.m.wikipedia org
5 - اليامين بن تومي، المرجع السابق ، ص19.

كما قال في موضع أخر:« أنا الذي عاصره إلهه في كل محنة لم يتخل عني بل كان معي في كل الدروب، هل كنت شيطانا حين فكرة الاستغناء عنه؟ حين مللت هذا الوضع الذي نحن فيه، أيكفي أن تدرس في باريس لتكون ملحدا؟ لم أفهم الحقيقة كاملة؟».[1]

ثم يقول أيضا:«ها هو الإلحاد يخترقني يمزق الرجل المؤمن داخلي يجعلني شظايا من ألف سؤال وسؤال ينزع عني ثوب التقوى الذي طالما عيرت به المدنيين والعصاة والمرتزقة ها أنا أهرب بعيدا حيث لا أنا الذي كنته بذلك القميص وتلك اللحية السوداء».[2]

كذلك ما نلمسه في الرواية ويدور في فلك الإلحاد والكفر ذلك الحوار الذي دار بين شخصية الطاهر والشيخ "سي عمران" إذ يقول:«هل تراني زنديق يا الشيخ كما يقولون»«يقول الشيخ سي عمران:«لا يولدي، أنت فقط تبحث وستصل يوما، لا تأبه لهؤلاء الحمقى».[3]

وفي حوار أخر بين شباب الحزب والشيخ عمران:

يا سي عمران إن الزنديق ولد خدوج هرب عندك ونحن نريده.

قال سي عمران: ماذا تريدون منه؟

الشباب: «يقول عنا أبواق الفتنة هل تصدق ذلك؟ يا سي عمران نحن نريد بناء دولة إسلامية، ثم لا يمكنك التستر على ملحد مثله يا شيخ عمران».[4]

ظاهرة الإلحاد كما تطرق إليها اليامين بن تومي في روايته ظاهرة بينة تبدوا واضحة دون إشارة أو تلميح.ترفض الممارسات الدينية و السلوكات وعليه يمكننا أن نقول أن اليامين بن تومي صرح بما هو غير مصرح به ومسكوت عنه ألا وهو الإلحاد، هذا الأخير الذي عدَ واحدا من المحاور التي لطالما سكت عنها الجميع ،ليتجرأ بعض الكتاب الخوض فيها كما فعل رشيد بوجدرة في العديد من رواياته التي تطرق وعالج فيها فكرة الإلحاد.

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص92.
2-المصدر نفسه، ص143.
3- المصدر نفسه ، ص27.
4- المصدر نفسه ، ص 26.

د- مظاهر التدين واللباس الشرعي.

زيادة على كل من التصوف والإلحاد كقضايا دينية تطرق إليها الكاتب في روايته، نجد مظاهر التدين واللباس الشرعي الذي خاض فيه الكاتب بأسلوب وطريقة تعتبران ضربا من الضروب المحظورة والمسكوت عنها بل والمقدس الذي لا يجب الحديث عنه، إذْ نجده يطرح وبجرأة كبيرة موضوع اللباس الشرعي أو القميص الذي يرتديه الإسلاميين هذا الزي الذي يعتبر دخيلا على عاداتنا وتقاليدنا وديننا، فنجده يقول:« لم يكن في قاموسي أن أرخي لحيتي أو ألبس قميصا أبيضا».[1]

ويقول أيضا:« حتى لباسهم كان غريبا وبائس جدا، يقولون أنه يشبه لباس الرسول، لكنني أعرف أهل الصحراء، لا يكون لباسهم قصير إلى هذا الحد».[2]

ثم يضيف في موضع أخر«جلست في ركن المسجد لأجد أحدهم يتقدم نحوي قائلا: أهلا بك أخي، فقلت له: وبك أهلا، قال: أريد أنْ أتحدث إليك، قلت: تفضل، قال: لا يجوز للرجل أنْ يصلي بمثل هذا السروال، قلت له: لماذا؟ ونظرت إلى سروالي هل هو ممزق؟ لا سمح الله، قال لي: ليس المقصود، بل هو يصف العورة، أعدت النظر مرة أخرى، أية عورة تقصد لم أتمالك نفسي من الضحك وقلت له: هل أعجبك؟ أم ماذا؟ لم يستقر الرجل وقال لي: أستغفر الله ماذا تقول؟ فقلت له: أنت لم تحدثني عن عورتي هل رأيتني عاريا لا سمح الله أم أنكم فقط تقدمون نقدا لتجعلوني مثلكم، قال الرجل: يضرب بيمينه على يساره، سبحان الله نصحته اتهمني وصرخت في وجهه: يا هذا هل رأيتني في مخمرة أو رأيتني أصلي؟ قال: أنت تصلي بلباس البدعيين، فقلت له: وأين السنَة فيما أنت فيه؟ قال: هذا القميص، ضحكت، رفع يده وكاد يضربني».[3]

1-اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص 27.
2- المصدر نفسه، ص 60.
3- المصدر نفسه، ص 62.

عرض الكاتب الحوار الذي دار بين الطاهر بن معروف وأحد الإسلاميين بخصوص القميص أو اللباس الشرعي، إذْ اعتبره شيء من العادات والتقاليد والتي دخلت على ديننا بغير حق، ضاربا عرض الحائط بحجج الإسلاميين التي تقول أن اللباس الذي يرتديه الغير إسلاميين والمتمثل في السروال بدعة وهو لباس يصف العورة، هذه الحجج التي اعتبرها الكاتب حجج واهية لا يقبلها العقل السليم، فلا ينبغي لسوي النفس والشخصية والسلوك أنْ ينظر لرجل مثله نظرة غير سوية، تصف لباس الرجل المتمثل في السروال باللباس الغير لائق الكاشف للعورة ومن المفروض أن يكون الملتزم المتدين أكثر الناس بعدا عن هذه النظرة السلبية، وأبعدهم خوضا في هذه المواضيع، وهي عبارة عن تصرفات فردية لا مسؤولة سرعان ما ترتبط وتلتصق بتعاليم ديننا الحنيف، كالتصاق الدنس بالثوب الأبيض.

كما أن الكاتب يرفض بعض النصوص الدينية المتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة التي يعتبرها معظم المسلمون خطا أحمرا لا يجب تخطيه متناسيا أنْ تكون هذه النصوص من صنع الإنسان ومما كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يقول:«من كذب عليا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».[1]

من خلال هذا الحديث الديني الذي يتضح أن هناك أمورا قدْ عدَتْ من السنة النبوية، غير أنها ليست كذلك بل هي قضايا أضيفت إلى السنَة النبوية و الشيء المرفوض هو ما زيد عن السنة لارفض ما ورد فيها.

في هذا السياق يقول الكاتب اليامين بن تومي:«ذلك الرجل الذي يكتنفه سحر مضاعف أحس أنه صادق في رواياته الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة الذي عاش لا يتقن غير تسلية الناس بأحاديثه التي لا تنتهي وتقف عند حد.»[2]

1- البخاري كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث107، ط1، دار ابن الكثير، دمشق، 2002، ص40، حديث صحيح.
2- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص153.

من خلال هذا القول يتضح لنا أن اليامين بن تومي أراد إظهار الشك إن لم نقل التكذيب خاصة عندما قال كلمة أحس التي تدل على الشك الذي راوده كذلك في قوله عن أبو هريرة:عاش لا يتقن غير تسلية الناس بأحاديثه التي لا تنتهي.

و حقيقة الأمر النص الديني ليس هدفه الإمتاع والتسلية، بل المغزى الحقيقي والغاية منه إصلاح المجتمع وتوجيهه إلى الطريق المستقيم فهو دستور الأمة وتشريعها.

ومن هنا يمكننا أنْ نستخلص أن الكاتب اليامين بن تومي بتطرقه إلى الجنس والتصوف والإلحاد واللباس الشرعي قد كسر طابع الكتابة التقليدية التي لا تخوض في هذه القضايا مخترقا بذلك التابو الديني الذي لايخلو من العناصر السابق ذكرها.

2- موضوع السياسة:

إن السياسة هي المسير الوحيد لحياة الشعوب، إذْ بواسطتها يمكن السيطرة عليهم والتحكم فيهم، ويمكننا أنْ نصف المشهد السياسي في فترة التسعينيات والذي انطلقت منه أحداث الرواية، هذه الفترة التي عرفت عدت أحداث سياسية واقتصادية ودينية، عبرت عن مجمل الأوضاع السائدة.

شكلت هذه الأحداث حدثا بارزا في تاريخ الجزائر، أين دخلت الدولة الجزائرية في أزمة خطيرة جدا يمكن وصفها بعشرية الدم راح ضحيتها الشعب الجزائري، أين تأزمت فيها الأوضاع وخرجت الأمور عن السيطرة إلى حد نشوب حرب أهلية والتي هددت أمن واقتصاد الدولة، فبعد أحداث أكتوبر 1988م عرفت الجزائر أزمة عنيفة لا يوجد لها أي حد نتج عنه صراع متعدد الأطراف.

كانت الرواية وسيلة للتعريف بالواقع المرير الذي شهدته البلاد ووسيلة للتعبير عن الواقع المعاش، إذْ سايرت الرواية مختلف التغيرات التي شهدتها الجزائر في هذه المرحلة التي تميزت بموت العديد من أبناء الوطن من بينهم الطبقة المثقفة ممثلة في الأدباء والصحافيين والعلماء في مختلف المجالات، الذين راحوا ضحية الغدر والتعسف في استعمال السلطة، وتحولت بعدها البلاد إلى ساحة مليئة بالدم وصراعات على رأسها أنظمة وأحزاب كلهم يريدون اعتلاء كرسي العرش، لقد أدت العشرية السوداء إلى إدخال الجزائر في متاهة لا مخرج منها.

وعند الحديث عن الكتابة الأدبية في هذه الفترة الدموية نجد أنها واكبت بشاعة الاغتيالات والاعتقالات بحق الشعب الجزائري، ولم يسكت الأديب الجزائري عن هذه الجرائم، حيث وصف بشاعتها وقساوتها، كاسرين بذلك تابو السياسة، إذْ نقلو الوقائع كما هي وبصبغة إستعجالية، إذْ تضمنت أعمالهم الأحداث التي جرت طيلة العشرية السوداء والتي اتسمت بالعنف والدمار والإرهاب، وراحت تبحث في أسبابها وعليه عدَت محطة حافلة وخالدة في تاريخ الأدب الجزائري المعاصر، أطلق عليها مصطلح رواية الأزمة، من بينها رواية الزاوية المنسية لليامين بن تومي الذي تطرق فيها بكل تفصيل إلى هذه الأحداث المتمثلة في: حكم العسكر، الحزب المحظور، الاعتقالات العشوائية ومراكز التعذيب والإرهاب، كاسرا بذلك تابو السياسة.

تناول اليامين بن تومي مواضيع السياسة وذلك من خلال روايته الزاوية المنسية حيث قام بتعرية المسكوت عنه ودخل منقبا عن خباياه ومستلهما إيديولوجيته، فالمتلقي لرواية الزاوية المنسية يجد الحديث عن السياسة يكاد يكون مباشرا وبشكل صريح أكثر مما هو عليه في موضوع الدين، لكن العلاقة بين الدين والسياسة تبنى على تكامل جعلت الدين لا يفترق عن السياسة وذلك من أجل خدمة أفكارها وقيام إيديولوجيتها، وهذا ما ساهم في تدفق الأحداث وتسلسل حقائقها مادامت السياسة هي المسير الوحيد لحياة الشعوب، و وسيلة للتحكم في المصائر.

فورد الحديث عن السياسة في رواية الزاوية المنسية تماشيا والأحداث التي مرت بها الجزائر إبان العشرية السوداء، وما أفرزته من قضايا ذات صلة بالسياسة وطبيعة الحكم السائد في تلك الفترة والصراع القائم ما بين السلطة ممثلة في النظام الحاكم، والإسلاميين ممثلة في الحزب المحظور من أجل الوصول إلى أعلى هرم في السلطة، هذا الصراع الذي تمخض عنه العديد من الأزمات يمكن حصرها في الاغتيالات، والمجازر المرتكبة في حق الشعب الجزائري.

لعل من أهم ما حوته من العناصر ذات الصلة بالسياسة ما يلي:

أ- إنتقاد ممارسات الجيش:

لعل من أخطر القضايا التي يخوض فيها الكاتب في فترة العشرية السوداء، هي انتقاده للهيئة الأمنية ممثلة في المؤسسة العسكرية، هذه الأخيرة التي من مهامها في تلك الفترة عملية استتباب الأمن وحماية السكان وكل ما يمس بسلامة وأمن الوطن، لكن اليامين بن تومي وكغيره من بعض الكتاب كسر جدار الصمت والخوف، فتكلم عن حكم العسكر وسيطرت المؤسسة العسكرية على نظام الحكم منتقدا ممارسات وأفعال أفراد العسكر.

وبما أن أحداث الرواية تدور حول زمن الأزمة أو كما يطلق عليها " سنين الجمر" وبما تضمنته من وقائع ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعنف والإرهاب والقتل والاعتقالات وغيرها، نجد كاتبنا اليامين بن تومي تجرأ وبكل شجاعة الخوض فيها مبرزا نقده كاسرا تابو السياسة مخترقا المحظور السياسي .

إذْ نجده يقول:«البلد يعاني الدمار المتعدد والعسكر صادروا حرية الإسلاميين وأحلام الأطفال وابتلعوا المساحات الخضراء في المدن، اكتسحوا كل شيء الكل متذمر من حكم العسكر».[1]

ويقول أيضا:«كان مقالي الأسبوعي في جريدة المدينة مدويا جدا سبب لي مشاكل أمنية كثيرة حين قلت أن العسكر أكبر نكباتنا في التاريخ، أكبر أزمة في عالمنا العربي البائس إننا نملك خبرات عسكرية تستخدم ضد مواطنيها فقط».[2]

كما يقول في موضع أخر:«الفقر والجهل كائنات مدجنة لا تتقن غير فلسفة الحرام وعسكرهم لا يفهم غير لغة القوة كان الكل يحمل رشاشه وسبابته على الزناد ينتظر الإطلاق».[3]

ثم يضيف قائلا:« في تلك الليلة حضر كل شيء ومعه بعض الخوف الذي كان باديا على وجه الرئيس كان يريد أن يقول لنا الله غالب البندقية ورائي قال كلمته ليبدأ زمن الاعتقالات الكبير».[4]

ويورد في كلامه أيضا:« بدأ الأمر يأخذ منعطفا أخر من إلغاء المسار الديمقراطي الذي كان بالنسبة للجنرالات إنقاذا للجمهورية، ولم يكن ذلك المنعطف في تصوري إلا تطرف من نوع أخر».[5]

كما يقول أيضا:«كانت النار تشتعل أكثر، فجنرالات فرنسا كما يسمونهم دفعوا أنصار الحزب المحظور إلى حمل السلاح والصعود إلى الجبال لتبدأ أزمة الإرهاب الكبرى»[6]

ويقول في موضع أخر:«هذا البلد بكل جباله يعرف "حرب فرنسا" الذين فهمنا لعبتهم فيما بعد».[7]

1-اليامين بن تومي ، الزاوية المنسية ، ص20.
2-المصدر نفسه، ص 79 .
3- المصدر نفسه، ص 147.
4- المصدر نفسه، ص 153.
5- المصدر نفسه، ص159.
6- المصدر نفسه، ص161.
7- المصدر نفسه، ص165.

من خلال ما أورده اليامين بن تومي في الأقوال السابقة الذكر يمكننا أن نقول أنه كشف وصرَح بالمحظور السياسي في روايته الزاوية المنسية، معلنا بذلك تجاوزه المسكوت عنه والذي يدخل تحت لواء المحظورات السياسية التي لا يمكن الخوض فيها، إلا لمن يمتلك ميزتان، إما الجرأة والشجاعة في الكتابة أو أن تكون بحوزته المعلومات والحقائق التي تميزت بها تلك الفترة الدموية.

ب - الحزب المحظور(المنحل):

يعد تاريخ 05 أكتوبر1988م منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر لما له من نتائج على الساحة السياسية، تلك الانتفاضة الشعبية التي تولد عنها تعديل دستوري جديد حمل بين طياته التعددية الحزبية، بعد أنْ كان المجال السياسي مفتوحا للحزب الواحد.

هذه الأحداث التي أذنت بميلاد حزب جديد تأسست أركانه وتبينت معالمه في 18 فيفري1989م وأطلق عليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ، هذا الحزب السياسي الذي ترأسه الشيخ عباسي مدني وينوب عنه الشيخ علي بلحاج وعرف اختصار بـ (FIS) اكتسح هذا الحزب الساحة السياسية وفاز بالانتخابات التشريعية سنة1991م، نظرا للترويج الإعلامي الكبير له وتعاطف الكثير معه كونه يحمل الصبغة الدينية ومحسوبا على التيار الإسلامي، لكن ألغيت هذه الانتخابات ونتج عن ذلك حل هذا الحزب بقرار من السلطات الجزائرية في مارس1992موأطلق عليه تسمية جديدة الحزب المحظور أو المنحل.

لقد ورد الحديث عن هذا الحزب في رواية الزاوية المنسية في أكثر من موضع، إذْ تناوله اليامين بن تومي محملا إياه مسؤولية الصراع الاجتماعي والسياسي وأسند الأزمة التي عاشتها البلاد إلى عناصر هذا الحزب والمتعاطفين معه إذ يقول:« بينما سي عمران يحدثني حتى سمعنا طرقا على الباب، خرج سي عمران ليجد أربعة من شباب الحزب المحظور قالوا له: يا سي عمران إن الزنديق ولد خدوج هرب عندك، قال سي عمران: ماذا تريدون منه، الشباب: يقول عنا أبواق الفتنة هل تصدق هذا يا سي عمران؟ نحن نريد بناء دولة إسلامية ثم لا يمكنك أنْ تتستر على ملحد مثله يا سي عمران، سي عمران: ومن قال لكم عنه أنه كذلك بل هو عندي يقرأ كتب الفقه والقران».[1]

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص 131.

ويقول أيضا:" صار الوضع صعبا جدا فالسلطة تصفي كل يوم أنصار الحزب المحظور بالاعتقالات وحملات التعذيب القذرة، التي كنت أرفضها لأنني إنسان في النهاية".[1]

ويضيف متحدثا:« فتح الحزب المحظور مكتبا في كل حي تقريبا وصارت تجمعاتهم أمام المكاتب يومية وهتافاتهم تصيح ببرنامجهم السياسي الهزيل».[2]

إنَ الكاتب من خلال رصده وتصويره لأفعال عناصر الحزب المحظور وما قابلها من ممارسات و اعتقالات شباب هذا الحزب والانتقادات الموجهة لكلا الطرفين المتمثلين في السلطة وأنصار الحزب، هذا الوصف الواضح الذي يعد كشفا وتصريحا لكل ما كان حبيس الإخفاء والتستر، كاسرا بذلك المحظور السياسي الذي طالما كان مسكوت عنه.

ج- حملات الاعتقال:

اكتسحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ المشهد السياسي بعد فوزها في الانتخابات المحلية مما زادها زخما شعبيا وقوة في الشارع كما سبق وأنْ ذكرناه سالفا، وبدأ التحضير للانتخابات التشريعية سرعان ما تم توقيف، مسارها الشيء الذي رفضته الجبهة فنظمت إضرابا مفتوحا صاحبته مسيرات فضتها السلطات بالقوة، مما أدى إلى احتقان سياسي متصاعد في البلاد، فاعتقل قادة الحزب لتبدأ بذلك رحلة الاعتقالات خاصة بعد إلغاء نتائج الانتخابات وحل الحزب واعتصام أنصاره في الساحات العمومية وباحات المساجد، في مظاهرات سلمية تطالب فيها بالديمقراطية واسترجاع حقهم في الفوز بنتائج الانتخابات، لتتدخل السلطة بكل إمكانياتها ممثلة في الجيش وعناصر الأمن، وتبدأ بذلك حملة الاعتقالات والتي مست رؤساء الحزب والمكاتب والمنخرطين فيه وحتى المتعاطفين معه، ليصبح في الأخير اعتقالا لكل مشتبه فيه وشيدت لذلك معتقلات ومعسكرات أبرزها في صحراء الجزائر، كعين أمقل، رقان، عين صالح، عين وسارة، و تندوف وغيرها.

1-اليامين بن تومي، الزاوية المنسية ، ص75.
2-المصدر نفسه، ص158.

لقد حوت الرواية كلاما وافرا عن حملات الاعتقال والتعذيب إذْ يقول الكاتب:« في البداية كنت معارضا شرسا لمخيمات الاعتقال التي أعدها العسكر للإسلاميين بتدوف ورقان».[1]

ويقول كذلك:« كنت ضد الاعتقالات العشوائية وضد التعذيب وتلك الأماكن المشبوهة التي تشبه الأخاديد كان يقاد إليها أنصار الحزب المحظور يختارون من ضعاف الناس وأفقرهم أرعبتني تلك الأشياء».[2]

ثم يضيف:« فقصصك المرعبة صارت على كل لسان وغدا لك قدر مع كل الأشخاص الذين تسببت في قهرهم أيصل بك الحد في إتهام الرجال أنْ تأتي بأمه أوْ أخته وتنزع نها كامل ثيابها وتأمر زبانيتك أن يمارسوا الزنا من أجل أنْ يقدم اعترافا لم يرتكبه أي قذارة هذه».[3]

بهذا يكون الكاتب قد تطرق إلى الاعتقالات والتعذيب الذي مارسه العسكر على أنصار الحزب المحظور، منتقدا هذه الأفعال التي لطالما سكت عنها الجميع والتي تندرج ضمن تابو السياسة، الذي يعد فيه الحديث محرما إلا بمجيء التيار التجريبي المعاصر حيث أسال فيه الحبر الكثير كما فعل كاتبنا اليامين بن تومي كاسرا بذلك تابو السياسة منتقدا سلطة العسكر وأفعاله اتجاه كل من له صلة بالحزب المحظور.

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص75
2- المصدر نفسه، ص 76
3- المصدر نفسه، ص 78

د- الإرهاب:

لقد سبق وأنْ ذكرنا أنَ السلطة ممثلة في الجيش أقدمت على توقيف المسار الانتخابي التي فازت بنتائجه الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وذلك لحماية النظام الجمهوري ولإنقاذ البلاد من الظلامية وحماية الجزائر من أنْ تتحول إلى أفغانستان ثانية.

في المقابل تقول الجبهة أنَ ما حدث خطوة غير دستورية وأنَ أصحاب السلطة آنذاك وفي مقدمتهم القيادة العسكرية، حصلوا على ضوء أخضر من دول فاعلة للقيام بالإنقلاب على خيار الشعب، خاصة بعد إقرار حالة الطوارئ في فيفري 1992م الذي وقعه محمد بوضياف بعد استقدامه من المغرب وتعيينه رئيسا لهيئة جديدة، تسمى بالمجلس الأعلى للدولة، هذه الخطوات التي رفضتها الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتي تعد بالنسبة لأنصار هذا الحزب سلبا للحق الدستوري، فقرر بعضهم الانخراط في العمل المسلح خاصة بعدما تواترت أنباء وشهادات عن اعتقالات مبرمجة، قامت بها قوات الأمن اتجاه قادة وأنصار الحزب.

فظهرت بذلك جماعات مسلحة مختلفة أبرزها الجماعة الإسلامية المسلحة التي تبنت أعمال عنف شملت اغتيالات وتفجيرات ومجازر استهدفت مدنيين لتدخل بذلك البلاد في دوامة اسمها العنف والإرهاب، هذا الأخير الذي يعد وصفا أطلق على حملة السلاح ضد النظام والجيش في فترة التسعينيات، غالبيتهم ينتمون إلى الحزب المحظور تسببوا وكانوا طرفا في الحرب الأهلية التي حصدت العديد من الأرواح من الأبرياء، وحولت البلاد إلى مجزرة شنيعة أشهرها: مجزرة بن طلحة، مجزرة الرمكة، مجزرة بني مسوس ومجزرة سيدي حماد، ليبلغ عدد القتلى حسب الإحصائيات عشرات الآلاف من القتلى، والمفقودين.

ورد في رواية الزاوية المنسية لليامين بن تومي حديث عن ظاهرة الإرهاب بصفتهم طرف فعال وأساسي في أحداث الرواية، إذْ يقول:«عشت محنة تكفير حين هربت تحت جنح الظلام حيث كنت ذلك الرجل المطلوب للإرهابيين، وأنا أطلُ من نافذة القدر على أولئك الحمقى الذين يحملون عصى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يتصورون».[1]

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص 44.

ويقول أيضا:« فتح الباب مستعجلا أدخلني –خرج- نظر يمينا وشمالا، قال: ما الخطب؟ قلت: تعرف القصة منذ اتهموني بالكفر، والبارحة وجدت رسالة تحت باب منزلي تهددني بالموت، وقبل قليل شاهدت أكثر من عشرين إرهابيا يقتلعون باب منزلي فعرفت أنَهم سيقتلونني».[1]

ويضيف في موضع أخر:« سمعت أحدهم يقول خذوا البنات فهم سبايا والرجال سيتولى الشيشاني أمرهم.[2]

لقد ظلَ الحديث عن الإرهاب محظورا وممنوعا وكل من يخوض فيه يواجه المصير المحتوم المتمثل في القتل، إلاَ أنَ الكاتب تحدث في رواية الزاوية المنسية عن ظاهرة الإرهاب إبَان عشرية الدم ساردا لنا بعض المواقف والأحداث التي عاشها بطل الرواية الطاهر بن معروف مع الإرهابيين في قرية العين المتمثلة في فراره من الإرهابيين بعد اتهامه بالكفر والإلحاد وتهديده بالقتل.

بتطرق الكاتب اليامين بن تومي إلى ظاهرة الإرهاب هذا المصطلح الذي ظل مسكوت عنه ويمنع الحديث عنه بل ويمنع حتى التلفظ به، يمكننا القول أنه كشف الستار عنْ قضية سياسية منع الخوض فيها .

ولهذا يمكننا أنْ نقول أنَ الكاتب بتناوله في الرواية لكل من حكم العسكر والحزب المحظور و الاعتقالات وبالإضافة إلى الإرهاب، قد ولج التابو السياسي والذي ظل مسكوت عنه ويمنع الحديث والخوض فيه.

1-اليامين بن تومي الزاوية المنسية، ص 46.

2. المصدر نفسه، ص 130.

3- موضوع الجنس:

إنَ الجنس تيمة من التيمات التي حوتها الأعمال السردية منذ القدم، فظهرت بشكل واضح في الملاحم والروايات الكلاسيكية ورسائل الحب وغيرها، هذه التيمة التي ظلَ الخوض فيها محرما بالنسبة للمجتمع العربي الإسلامي، والذي تحكمه ضوابط دينية وعادات وتقاليد جعلت من الجنس هاجسا لا يمكن الحديث فيه، لما يحمله من صور خليعة وتردي للأخلاق باعتباره موضوعا يتناقض مع تقاليد ديننا الحنيف وقيم مجتمعنا المحافظة.

لذلك أعتبر الحديث عن الجنس كسرا للتابوهات المحظورة وتصريحا بالمسكوت عنه والخوض فيه ضربا من ضروب الكتابة الحداثية، هذه التيمة التي تناولها الكتاب الجزائريين في أعمالهم الروائية بتدرج منطلقين من ثنائية: (مسكوت عنه/ مصرحا به) حيث قرر بعض المؤلفين أنْ يصرحوا بالمسكوت على أنْ يكون هذا التصريح مقتصرا على الألفاظ بعيدا عن الاشتغال الفني للتيمة، ولعل من أهم الروائيين الجزائريين الذين كانوا سباقين في الكتابة عن الجنس الكاتب رشيد بوجدرة في روايته الجسد العاري، حيث تطرق فيها إلى الجسد والجنس والعري وأخرج ما تعلق بها من ملفوظات من الصمت إلى المسموع، ليفضح بذلك زيف المجتمع ونفاق الأخلاق التي قد تكون مجرد ستائر البشاعات المضمرة.

وإذا تطرقنا إلى الجنس كمقوم للأعمال السردية في بعض الروايات نجده لا يفترق عن السلطة والقمع والحظر، كما أن أغلب روايات الأزمة وبما تحمله من وصف للأوضاع التي عاشها المجتمع الجزائري لا تخلوا من الحديث عن هذا المسكوت.

ورواية الزاوية المنسية واحدة من هذه الروايات التي تعاملت بعمق مع تيمة الجنس، كيف لا وقد اختار لها بطلا اسمه الطاهر بن معروف الغير معروف، هذا الاسم الذي يحمل في طياته عدة دلالات هذا البطل الذي هو ابن غير شرعي من أم بغي وأب مزيف والذي ظهر في الرواية بصيغة ضمير المتكلم متحدثا عن ذكرياته ومعاناته في قرية العين، وحرمانه من النسب و الانتماء حيث كانوا ينادونه بولد البغي، ومن أبرز ما حملته هذه الرواية من مشاهد جنسية مصورة بدقة وتفصيل وجرأة قول الكاتب:« نعم أنت ولدي إبن مائي الذي سال من غير وعي».[1]

1. اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، ص 14.

وفي مشهد أخر يقول:« خرجت ليلا ولا شيء أخر في فمي غير ثدي أمي التي يقال عنها أنها كانت عاهرة، ما أروع عهرها إذا ... لأنها تحملتني وحمتني، لم تجعلني رقما مضافا في دار الأيتام».[1]

كما يقول :« لن أنسى ذلك اليوم حين تذكرت سريرها وما تعاقب عليه من الخيانات لوالدي الذي كنت أظنه كذلك، لأعرف فيما بعد أنه لم يكن غير شخص تعيس ورقما أخر من الأرقام الكثيرة التي تعاقبت على سرير أمي».[2]

وفي مشهد أخر يقول:« حين دخلت البيت يهده التعب ليجدها في كامل أناقتها بعد أنْ غسلت جسدها العفن من المياه الفوضوية والجوفية التي لطختها».[3]

وفي مشهد أشد إثارة يقول:« أمي كانت تأخذني معها إلى حمام النساء في قرية العين لأرى النهود بجميع أشكالها وأحجامها، حيث كانت المرافقات تأخذني من أمي إلى مكان منعزل من الحمام وتلعبن بذكري الذي ما زال لم يعرف دوره التاريخي بعد».[4]

وتستمر الإثارة في مشهد أخر إذْ يقول وبكل جرأة:« لم أعي جيدا الذي يحصل لي إلا وأنا بين يدي أحدهم شق ثوبي وأخذ يمص نهدي مزق ملابسي بوحشية غريبة قاومته بقوة ضربني لا أدي هل أغمي عليا أم ماذا؟ لم أفق إلا وبعضه داخلي وهو يتلوى شهوة كالحية ويده اليسرى تحمل رجلي والأخرى تضغط بالقوة على نهدي».[5]

من خلال تصفحنا لرواية الزاوية المنسية نجد أن تيمة الجنس قد احتلت مكانا بارزا ضمن هذا الفضاء السردي، الذي حاول الكاتب من خلاله كشف الحقائق التي ظلت لوقت كبير رهينة الأعراف والعادات وحبيسة المقموع والغير مرغوب فيه.

1- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية ، ص30.
2- المصدر نفسه ، ص 32.
3- المصدر نفسه، ص 36.
4- المصدر نفسه، ص 69.
5- المصدر نفسه، ص 138-139

وذلك باستحضاره لهذه المشاهد الجنسية عارضا الممارسات الجنسية بكل جرأة جاعلا منها محركا لأحداث الرواية، منطلقا في رحلته الوصفية هذه من الحديث عن بطل الرواية الابن الغير شرعي وانتهاءه عند عرض الممارسات الجنسية بكل جرأة وتفصيل، وبذلك يمكننا القول أن اليامين بن تومي قد كسر تابو الجنس الذي لطالما تم السكوت عنه خاصة في الوقت الذي دارت فيه أحداث الرواية والذي اتسم فيه المجتمع بطابعه المحافظ والحديث فيه عن الجنس محرما بحكم الدين والقيم الاجتماعية.

خاتمـــة

خاتمة:

في ختام هذا البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج تمخضت عن هذه المسيرة العلمية الخصبة التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- مصطلح المسكوت عنه هو مصطلح له عدة مرادفات منها: التابو، الممنوع، المحظور.

- المسكوت عنه يعرف بالثالوث و يشتمل على السياسة و الدين والجنس.

- المسكوت عنه نوع من التمرد يكشف عنه من خلال الكتابة الأدبية.

- الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة تناولت المسكوت عنه بشكل أدبي فني يرمي إلى إبراز مواضيع وحقائق قد يكون الخوض فيها ممنوعا.

- النماذج التي تطرقنا إليها والتي تضمنت المسكوت عنه ما هي إلاَ عينات من الرواية الجزائرية التي خاضت في المسكوت عنه.

- جسدت الرواية الجزائرية المعاصرة خلال العشرية السوداء المأساة الوطنية، كما تميزت بالطابع الإستعجالي وأطلق عليها مصطلح رواية الأزمة نظرا لتأثرها بالظروف السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية السائدة آنذاك.

- تأثرت الرواية الجزائرية المعاصرة بمظاهر الحداثة والتجريب ، كما حاولت التخلص من الأنماط التقليدية و إضافة آليات جديدة لم تكن معهودة في الرواية الجزائرية.

- تصنف رواية الزاوية المنسية في خانة رواية الأزمة أو المحنة.

- خاضت رواية الزاوية المنسية في المسكوت عنه بعناصره الثلاث: الدين والسياسة والجنس.

قائمة المصادر والمراجع

* قائمة المصادر والمراجع:

- **القران الكريم:**
- **الحديث الشريف:**
- **المصادر:**

01- اليامين بن تومي، الزاوية المنسية، منشورات الوطن 2017.

- **المراجع:**

01- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء.

02- احسان عبد القدوس ، الطريق المسدود، ط1، أخبار اليوم، القاهرة.

03- بشير مفتي، المراسيم والجنائز.

04- بشير مفتي،سيرة طائر الليل، نصوص، شهادات، أسئلة، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2013.

05- بطرس،أنطونيوس،الأدب تعريفه،أنواعه،مذاهبه،المؤسسة الحديثة للكتب،لبنان د ط 2005 .

06- اليجيري دانتي، كوميدياالإلهية، ت حسن عثمان، ط 3، دار المعارف، القاهرة.

07- سامي خرطبيل، أسطورة الحلاج،دارإبن خلدون، بيروت، لبنان،ط 1 1979 ص .

08- طه حسين، في الشعر الجاهلي ، ط 1،دار الندوة القاهرة،1926.

09- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران،الفروق.اللغوية،تح،ابراهيم سليم،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة مصر .

10- عصام زكرياء جميل، مصادر فلسفية، ط1،دار الميسر للنشر والتوزيع .

11- علي الوردي، مفتاح كتاب الشعر الجاهلي، ت صباح جمال الدين، ط 1،دار الورق للنشر.

12- فاضل ثامر،المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، ط1،المدى،2004.

13- فريديريك نيتشة،هكذا تكلم زرادشت،ت،فليكسفارس،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة الاسكندرية، 1938.

14- فولبير،مدامبوفاري،ت محمد غندور،ط 1،دار الاداب للنشر والتوزيع،بيروت لبنان،2009.

15- فولتير،كانديد،ت أنا ماريا شاقير،ط 1،دار ومكتبة الهلال،بيروت،2005 م.
16- فيكتور هيغو، البؤساء، ت سليم خليل قهوجي، دار الجيل ط .
17- محمد هارون عبد السلام، مقاييس اللغة دار الفكر للطباعة والنشر، دط،دت،1979.
18- المجدد البركتي، محمد عميم الإحسان،التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط 1، 2003 .
19- صلاح فضل،الأدب المقارن،ط 1،دار الكتاب المصري، القاهرة، 2003 م.
20- نجيب محفوظ،الشحاذ، دار القلم،بيروث، لبنان ، ط 2، 1988.
21- نجيب محفوظ، اللص و الكلاب،ط1،دارالقلم، بيروث،لبنان 1973م،.
22- نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، دار الطباعة القاهرة 1979.
23- هادي العلوي، قاموس الدولة والإقتصاد، سلسلة 2، دار الكنوز الأدبية بيروت، طبعة 1، 1998.
25- واسيني الأعرج، سيدة المقام ، دار الأدب العربي،ط،1995 م
26- يوسف زيدان،عززايل،ط 1،دار الشرق،القاهرة،2008 .
27- يوسف كرم،تاريخ الفلسفة اليونانية،مطبعة لجنة التأليف والنشر 1936م .

- الموسوعات والقواميس و المعاجم:

01 - جرار جهامي وآخرون،موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر ،ج1 مكتبة لبنان ناشرون،بيروت ط 1، 2004.
02- الفيروز أباددي الشيرازي،مجد الدين محمد بن يعقوب،القاموس المحيط،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،ط ،1978.
03- إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر تركيا.
04- ابن منظور، محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، تح أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق، العبيدي دار أحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط 3 1999م،ج 5 .
05- أبو حامد الغزالي، المستصفى، ت محمد عبد السلام الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1993.

06- العلي الصالح، والشيخ سليمان الأحمد أمينة، المعجم الصافي في اللغة العربية ،بيروت لبنان،ط 3 ،1999 م ج 5 .

- المخطوطات والمنشورات:

01- أحمد العزب،ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر،أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر القاهرة،1976/12/13.

02- احمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1996.

03- ادريس بودیبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000.

04- بودرع نادية، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد،عبد الوهاب البياتي ومحي الدين صبحي أنمودجا،مذكرة ماجيستير جامعة الحاج لخضر،2008/2007

05- خميس كرم،مأزق الحداثة، نظرة أولية،ندوة الحداثة وما بعد الحداثة،منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،طرابلس ليبيا،يوم1998/03/13.

06- سمية زغير، اللغة المسكوت عنها في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، مذكرة ماجيستر، جامعة منتوريقسنطينة،2011.

07- عادل محلو،الصوت والدلالة في شعر الصعاليك لامية الشنفرىنموذجا،مخطوطة كنوز جامعة الحاج لخضر،باتنة،2006 / 2007.

08- عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين ، السياسة ، الجنس في الرواية المغربية(1970-1990) مخطوطة دكتوراه ، جامعة باجي مختار عنابة، 2003 - 2004.

09- نزيهة زاهر، معمارية البناء السردي بين ألف ليلة وليلة والبحث عن الزمن الضائع، أطروحة دكتوراه 2007.

- الملتقيات:

01- ابراهيم سعدي، تسعينات الجزائر كنص سردي، بين الملتقى الدولي السابع،عبد الحميد بن هدوقة والرواية، أعمال وبحوث، مجموعة محاضرات، الملتقى الدولي السادس، ط 6، 2003، برج بوعريريج، الجزائر.

02- بحري محمد الأمين،الملتقى الدولي الخامس،السمياء والنص الأدبي، مداخلة سميائية المسكوت عنه الرواية الجزائرية من إنتاجية الدال إلى تسويق المذلول،روايات الطاهر وطار وأحلام مستغانمي نماذج .

03- بحري محمد الأمين، سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية، الملتقى الدولي الخامس ، السيمياء والنص الأدبي ، جامعة بسكرة.

04- محمدالأمين بحري، قيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة بين التواصل والقطيعة، جامعة بسكرة.

05- المسيري،عبدالوهاب،التحديث والحداثة،ندوة الحداثة وما بعد الحداثة.

- المجلات:

01- أنور بدر،المحظورات في الكتابة العربية،جريدة القدي العربي،العدد 6705، 2001.

02- عزيز لطفي ناهي، التابوهات المحرمة في الرواية السعودية، مجلة جامعة ديكار، المجلد 13، 2008، كلية التربية، جامعة القادسية.

03- عمارة محمد،الهوية الثقافية الاسلامية بين الاصالة والمعاصرة والتحديات،مجلة الاسلام اليوم،العدد 31،المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة،الرباط 2015.

04- مصطفى الشادلي،الدين السياسي ونقد الفكرالديني، الحوارالمتدين، العدد3797 2012

- المواقع الالكترونية:

01- فارس سيسين،هيغل WWW.SASSINEB LOGSPOT.COM .

فهرس المحتويات

- فهرس المحتويات:

- شكر وعرفان.

- مقدمة..... أ- ب- ج

الفصل الأول

مقاربة منهجية لمكونات العنوان

- تمهيد.....05

* تحديد وضبط المصطلحات.....06

أولا- ماهية المسكوت عنه في الأدبين الغربي والعربي.....06

1- المسكوت عنه.....06

- لغة.....06

- إصطلاحا.....06

2- الثالوث المحرم.....06

- لغة.....06

- إصطلاحا.....07

3- التابو.....07

4- المحظور.....07

- لغة.....07

- إصطلاحا.....08

5- المسكوت عنه عند الفلاسفة الغربيين.....09

5-1 السياسة عند أفلاطون.....09

5-2 الدين عند سبينوزا.....10

5-3 السياسة عند هيغل.....10

5-4 الدين عند فريديريك نيتشه.....11

6- المسكوت عنه عند الأدباء الغربيين.....11
1-6 الدين.....11
2-6 السياسة.....13
3-6 الجنس.....14
7- المسكوت عنه في الأدب العربي.....15
1-7 الدين.....15
2-7 السياسة.....18
3-7 الجنس.....21
ثانيا- الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة.....23
1- الرواية الجزائرية المعاصرة.....26
2- رواية الأزمة.....28
* المسكوت عنه في النص الروائي الجزائري.....30
1- نماذج روائية تضمنت المسكوت عنه.....30
1-1 المسكوت عنه في روايات فضيلة الفاروق.....30
1-1-1 المسكوت عنه دينيا.....30
2-1-1 المسكوت عنه جنسيا.....30
3-1-1 المسكوت عنه سياسيا.....31
2-1 المسكوت عنه عند واسيني الأعرج.....32
1-2-1 المسكوت عنه سياسيا.....32
2-2-1 المسكوت عنه دينيا.....33
3-2-1 المسكوت عنه جنسيا.....34
3-1 المسكوت عنه عند بشير مفتي.....35

الفصل الثاني

المسكوت عنه في رواية الزاوية المنسية

لليامين بن تومي

- تمهيد.....38

- التعريف بالكاتب 39

- قراءة في الرواية.....40

1- موضوع الدين.....43

أ- التصوف.....44

ب- الإلحاد.....45

د- مظاهر التدين واللباس الشرعي.....47

2- موضوع السياسة.....50

أ- إنتقاد ممارسات الجيش (العسكر) 51

ب- الحزب المحظور(المنحل).....53

ج-حملات الإعتقالات.....54

د- الإرهاب.....56

3- موضوع الجنس.....58

- خاتمة.....62

- قائمة المصادر والمراجع.....64

إنَ المسكوت عنه في رواية "الزاوية المنسية"، الذي يعد عنوان هذه المذكرة التي تقسيمها في الحقيقة إلى فصلين؛ الفصل النظري الذي تم فيه تحديد المفاهيم والمفردات، كما تم كذلك الإشارة إلى مسألة المحظورات سواء الدينية، السياسية وحتى الجنسية منها، وأين تم كذلك التطرق إلى كيفية تعامل المؤلفين والفلاسفة العرب والغربيين مع مسألة المحظورات، بما في ذلك نماذج القصة الجزائرية المعاصرة بعناصرها الثلاثة.

في حين تم معالجة الجانب التطبيقي الموسوم بعنوان "المسكوت عنه في رواية الزاوية المنسية"، من خلال المحظورات الدينية، السياسية والجنسية الموجودة بتحاليلها، مع تبني المنهج الموضوعاتي، لنصل في النهاية إلى أهم النتائج.

The unspoken in the novel of (the forgotten corner) wish is the title of this thesis؛ that is divided, in fact, into tzo chapters؛ theoretical part wheras terms and concepts have been set, and where a sign has been given to the taboo's issue whether: the religious, political, or sexual ones, and where it has been referred also to how do to the arabic or western writers and philosophers treat that issue within the algerian modern fiction models that treated these taboos as well as its three elements.

However, the applied chapter entitled as the unspoken in the novel of**" the forgotten corner** "has been treated through the religious ,political, and sexual taboos that existed, with its analysis ,adopting the objective method to reach later the most important results that have been found.